

رواية

د. زهير منصور المزيدي

رحلة
بكيل



www.zumord.net



شركة مسارات القيم المجتمعية
للاستشارات الاجتماعية

www.zumord.net



شركة مسارات القيم المجتمعية
للاستشارات الاجتماعية

2025

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وجميع المحامد، وجميع أنواع
الشكر والثناء مستحقة لله تعالى وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على
رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

"قمت بتشديد أحداث الرواية على أساس أحداث واقعية"

الوداع اليمن (البذرة)

كانت الشمس تميل إلى الغروب، والريح تهز أبواب البيت الطيني الصغير.

جلس بكيل على حصير قديم، يطوي أوراق المنحة التركية التي حصل عليها بعد عامين من انتظار الأمل.

إلى جانبه حقيبة مهترئة، وصرة قماشية فيها 200 دولار جمعها بجهده حين عمل متطوعاً مع أحد برامج الأمم المتحدة للأطفال، فأدهشهم بجده وانضباطه حتى منحوه مكافأة لم يتوقعها.

دخل أبوه، رجل خمسيني بوجه تكسوه التجاعيد وأثر الكدح، جلس إلى جانبه وقال بصوت متعب:

"يا بني... أنت تعلم أننا لا نملك ما يدعمك به. وأعمامك يقولون: العلم ورق، والشهادات لا تشبع بطوناً. ما نفع السفر وأنت تترك أهلك وبيتك؟"

رفع بكيل رأسه بثبات، وعيناه تتلألآن:

"أبتاه، ما حصدته بيدي ليس كثيراً، لكنه يكفي أن أفتح به الطريق. لن أبقى هنا أتفرج على كسور الحرب دون أن أفعل شيئاً.

سأتعلم... وسأعود يوماً لأصنع أطرافاً تعيد الناس إلى الوقوف".

تنهد الأب طويلاً، مسح على رأس ابنه وقال:

"اذهب إذن... إن كان هذا همك، فالله معك. لكن الطريق صعب، وأخشى أن يكسرك".

ابتسم بكيل ابتسامة صغيرة:

"ومن يُرد أن يجبر الكسور، يجب أن يتذوق الكسر أولاً".

قبّل بكيل رأس أمه، وخرج من البيت، حقيبته على كتفه، والريح تضرب ثوبه.

"هذه الصرة الصغيرة ليست مجرد نقود... إنها أول برهان أن جهدي له ثمن. أعمامي قالوا إن الورق لا يُطعم... لكنني أؤمن أن العلم هو الذي سيطعم الآلاف ويعيد لهم كرامتهم. سأصنع يومًا مصنعًا للأعضاء الاصطناعية... لليمن، لسوريا، للسودان... لكل من كسرتة الحرب. وإن كانت البداية من 200 دولار... فلتكن." وأول ما سأل عنه في الطريق: "أين أجد أقرب سفارة تركية؟" فأجابوه:

"ليست هنا... عليك أن تسافر إلى جيبوتي." وهكذا تبدأ الرحلة...

إلى المجهول

انطلقت الشاحنة الصغيرة التي أقلت بكيل من قريته نحو الساحل. الليل كان يزحف ببطء، وصوت البحر يُسمع من بعيد كأنه أنين. حين وصل، وجد قاربًا خشبيًا متهاكًا، مزدحمًا بما يقارب ثلاثين شابًا، بعضهم في مثل عمره، وآخرون أكبر، يجرون أقدامهم بتعب. لم يرَ في القارب أي ستر نجاة، ولا مصابيح صالحة، فقط حبال بالية وأخشاب تنن تحت ثقل الأجساد. تردّد لحظة، لكن أحد الشباب دفعه قائلاً:

"هيا يا أخي... ما من طريق آخر. إما البحر، أو البقاء في العدم." ركب معهم، جلس في زاوية ضيقة، وشدّ حقيبته الصغيرة إلى صدره كأنها صمام الأمان الأخير. أبحر القارب وسط ظلام حالك، والرياح تعصف بهم. أحد الركاب تتمم:

"لا وجهة واضحة... إلى المجهول." فرد آخر محاولاً رفع المعنويات:

"المجهول خير من موت مؤكد هنا... هناك عمل ينتظرنا، ولو كنا لا نعرف أين".

جلس بكيل يستمع إليهم، يدرك أن معظمهم دفعهم العوز للبحث عن لقمة العيش. لكن داخله كان مختلفًا:

"هؤلاء يطلبون قوتهم... وأنا أطلب العلم. نحن جميعًا في قارب واحد، لكن لكل واحد منا وجهة أخرى، قدر آخر."

لم يكن يعرف ما ينتظره حين يصل، لا عنوان، ولا اسم محدد، فقط إشارة غامضة: "جيبوتي فيها السفارة".

ومع كل موجة تضرب القارب، كان قلبه يتمسك بجملته واحدة:

"المجهول مدفوع بالأمل... والأمل أقوى من الخوف."

المهاجرون

كانت الموانئ والحدود والطرق تعجّ بأناس خرجوا من ديارهم مضطرين.

هؤلاء من سوريا، يحملون وجوهًا متعبة وأطفالًا يتشبثون بأطراف أثواب أمهاتهم.

وأولئك من السودان، رجال شابت لحاهم باكراً من ثقل الفاقة، يجرون حقائب بلا عجلات على أرض جافة.

ومن اليمن، شباب وفتيات تاهت أعينهم بين الخراب والرجاء، بعضهم لا يملكون سوى أوراق هوية باهتة.

ومن أماكن أخرى... وجوه شاحبة، قصص متشابهة، قلوب تبحث عن بصيص أمل.

كانت القوافل البشرية تتدفق كأنها أنهار منكسرة تبحث عن مجرى جديد، كل واحد منهم له حكاية، لكنهم جميعًا يشتركون في كلمة واحدة: المهجرون.

وسط هذا المشهد العام، بكيل، لم يردعه كلام أعمامه عن "بطلان العلم"، ولم يُثنه ضيق اليد.
حلم واحد كان يضيء داخله: أن يتعلم صناعة الأعضاء الاصطناعية ليحبر كسور ما حطّمته الحروب في وطنه وفي أوطان غيره.
وهكذا يبدأ طريق بكيل، طريق محفوف بالتيه والمخاطر، لكنه مشحون بالأمل.

القارب

تحت جناح الليل، كان القارب الخشبي المتهالك يتمايل على أمواج البحر. أكثر من ثلاثين شابًا تراحموا فيه، وجوه شاحبة، صدور ضيقة، وقلوب تشتعل بين الخوف والرجاء.
جلس بكيل في زاوية ضيقة، يضم حقيبته الصغيرة إلى صدره كأنها آخر ما تبقى من وطنه. إلى جواره شاب من السودان يردد بصوت مرتجف:
"لو غرقنا... لن يعرف بنا أحد".
بينما أجابه آخر من سوريا بنبرة يائسة:
"الموت هنا أهون من الموت في المخيم".
أدار بكيل نظره في الوجوه، ورأى أن لكل منهم قصة، لكنها كلها تلتقي في هذا المركب الصغير.
ضربت موجة قوية جانب القارب، فتعالت الصرخات، وتشبث الجميع بالحبال البالية.
رفع بكيل عينيه إلى السماء، وتمتم:
"يا رب... إن كان في هذا البحر هلاك، فاجعل نجاتي علمًا أنفع به الناس".

كان صوته خافتًا، لكنه غرس في داخله يقينًا جديدًا:
حتى لو لم يصل، فقد بدأ رحلة تختلف عن سائر الركاب... رحلة العلم.

التيه والخوف

- ليلٌ بلا قمر، والبحر هائج كوحش يفترس في صمته.
قارب خشبي متهالك، لا مصابيح، ولا بوصلة.
امتلاً بالمهاجرين:
• أم تحتضن طفلها الرضيع وهي تغطيه بثوبها المبلل.
• شيخ عجوز يسبح بيدين مرتعشتين.
• شابان يتشاجران على موضع جلوس أضيق من أن يتسع لجسد واحد.
• صبية في عمر الزهور تنظر في الظلام، تبحث عن أفق لم يظهر.
جلس بكيل بين الركاب، حقيبته الصغيرة تحت ذراعه،
كان يسمع أنفاس الخائفين، وأنين الأطفال، وصرير الألواح حين تضربها الأمواج.
امرأة من آخر القارب صرخت:
" أين نحن؟ إلى أين نمضي؟"
ردّ أحد الرجال وهو يحاول أن يبدو قويًا:
" نحو البر... أي بر، لا ندري. المهم بعيدًا عن هذا الجحيم".

لكن الحقيقة أن لا أحد كان يعرف وجهتهم.
"نحن نُساق إلى المجهول،" فكَرَّ بكيـل، "لا قائد، لا أمان، لا ضمان.
كأننا ورق شجر في مهب الريح."
ضربت موجة عنيفة القارب، اهتز الجميع، وارتفعت صيحات
مختلطة بالدعاء:
"يا الله... يا ساتر!"
"اللهم سلّم... يا رب العرش!"
في تلك اللحظة، شعر بكيـل أن الخوف لا يُسكِت الناس، بل يُخرج
أعماقهم.
رفع بصره إلى السماء الداكنة، وهمس لنفسه:
"إن متّ هنا، فلن يعرف بي أحد. لكن يا رب... إن حييت، فاجعل
عمري شاهداً على أن هذه التيه يمكن أن يولّد طريقاً، وأن الكسر
يمكن أن يُجبر."
وترك الريح تلطمه، بينما داخله يزداد يقيناً أن البحر ليس إلا
امتحاناً أولياً لما ينتظره في اليابسة.

الوصول إلى جيوتي

حين لامس القارب اليابسة، ترجل الركاب واحداً تلو الآخر،
أجسادهم مرتجفة، وثيابهم ملتصقة بالعرق والملح. كان بكيـل يجر
قدميه على الرمل الساخن، يحمل حقيبته الصغيرة كما لو أنها كل
عمره.
لم يكن هناك من ينتظرهم، ولا مكان معدّ لاستقبالهم. فقط أرض
غريبة، وشمس حارقة، وجوع لا يُطاق.
في الأيام الأولى، نام بكيـل على أرصفة الميناء مع مجموعة من
الشبان الذين تعرّف إليهم في القارب. كانوا يتبادلون الخبز اليابس

ويقتسمون ما تبقى من تمرٍ جافٍ.
لكن مع مرور الأيام، بدأ المال القليل الذي بحوزته ينفد.
اضطر للبحث عن عمل، فوجد نفسه يساعد في حمل صناديق
الأسماك في سوق مزدحم.
رائحة البحر تلتصق بملابسه، والعرق يتصبب من جبينه، لكنه كان
يشعر أن كل عرق يسقط يكتب خطوة جديدة في طريق حلمه.
مرّت أسابيع، ثم شهران، وهو يتنقل بين أعمال شاقة وسكن مؤقت
مع رفاق القارب.
وبينما كان يجلس معهم في إحدى الأمسيات، قال أحدهم:
"يا بكيل، لماذا تنتظر طويلاً؟ سمعت أن هناك سفارة تركية في بلد
قريب من هنا. كثيرون قصدوه وحصلوا على الفيزا".
انتفض قلب بكيل، كأن باباً فتح أمامه بعد انسداد.
"أين؟ أي بلد؟"
"لم أسمع الاسم بوضوح... لكن ليس بعيداً. أقرب مما تظن".
جلس بكيل تلك الليلة ساهراً، يحدث نفسه:
"لو كان الطريق طويلاً أو قصيراً، لا يهم... المهم أنني لا أبقى
عالقاً. أنا لم أخرج من وطني لأقف عند أول محطة. أريد وجهة، لا
انتظاراً".
وهكذا يبدأ فصل جديد من رحلته: انتقاله من جيبوتي إلى بلد آخر،
بحثاً عن سفارة تركية، وحلم ما يزال يطارده.

جلسة على الرصيف في جيبوتي

في آخر ليلة من الشهر الثاني، جلس بكيل ورفاقه على رصيف
قرب الميناء. السماء صافية، لكن القلوب مثقلة.

كانوا يحاصرون التعب بأكواب شاي رخيص اشتروها من بائع متجول.

بدأ حسام، شاب في مثل عمر بكيل، يضحك وهو يروي: "اليوم كذبت على صاحب الدكان، قلت له سأعمل عندك وأردّ لك المال بعد يومين، فأعطاني دقيقًا. لا سبيل آخر يا جماعة، التحايل صار مخرجًا".

هزّ محمود رأسه مستنكرًا: "لكن هذا ليس رزقًا حلالًا... نحن هربنا من الحرب لا لنحمل معنا الغش. بالصبر والصدق يفتح الله".

تدخل علي، شاب يماني أكبرهم سنًا، بوجه متجدد من التجارب: "كفاكما جدالًا. أنا أرى أن البقاء هنا أرحم من المغامرة مجددًا. العمل موجود ولو كان شاقًا، لماذا نرمي أنفسنا في المجهول؟" ظلّ بكيل صامتًا، يستمع إليهم، ثم قال بهدوء: "أنا أسمعكم وأفكر."

لكن بالنسبة لي... لم أترك أمي وبيتي لأقف هنا. خرجت لغاية. أريد أن أتعلم، أن أكون شيئًا ينفع الناس. لا أستطيع أن أبقى عالقًا".

رفع عينيه إلى السماء، وأكمل بصوت عميق: "لو كان الطريق إلى حلمي بحرًا هائجًا أو صحراء قاحلة، فسأمضي. لأن القيمة ليست أن أنجو فقط... بل أن أحقق ما جئت من أجله".

ساد صمت بينهم، ثم قال محمود مبتسمًا: "إذن أنت باقٍ على عهدك يا بكيل... جاد كما عهدناك". أجاب بكيل بابتسامة متعبة: "الجدّ هو الشيء الوحيد الذي أملك. والباقي يأتي".

مطار جيبوتي

وصل بكيل إلى مطار جيبوتي فجراً، حقيبته البسيطة على كتفه،
وصرة نقوده مطوية في جيبه الداخلي.
اقترب من شباك شركة الطيران وسأل بابتسامة خجولة:
" من فضلك، أريد تذكرة إلى تشاد ... كم السعر؟"
أجاب الموظف ببرود:
" مئة دولار."
ارتبك بكيل، وتلعثم:
" لكن ... قالوا لي إنها خمسون فقط!"
"الأسعار ارتفعت. هذا أقل ما عندنا."
تجمد للحظة، كأن الأرض انسحبت من تحت قدميه. كان المبلغ
يعني نصف ما يملك تقريباً. تردّد، ثم سأل:
" ومتى موعد الطائرة؟"
" بعد يومين."
خرج من الصف، جلس على مقعد خشبي في صالة الانتظار، وأخذ
يحدّث نفسه:
"يومان كاملان هنا... والمبلغ أكبر مما حسبت. إن دفعت، فلن
يبقى معي ما يكفي للخطوات التالية. أهذه أول عقبة في الطريق؟"
اقترب من موظف آخر وسأله بحذر:
" هل هناك وجهة أخرى بنفس المبلغ تقريباً... أرض أجد فيها
عملاً؟"
رد الموظف بعد لحظة تفكير:
" هناك رحلات قصيرة لبعض الدول القريبة... لكن إن أردت
العمل، فالسودان خيارك الأفضل، مطار نيالا في جنوب دارفور.
كثيرون يسافرون إليه من هنا."

تأمل بكيل الجواب، وأحس كأنه خيط جديد فُتح أمامه.
"السودان... ربما هناك أجد فرصة عمل، وأجمع مالا يكفيني، ثم
أقصد السفارة التركية."
شدّ على حقيبته، وأغمض عينيه لحظة، كأنه يستشير ربه في
صمت.
ثم فتحهما، وهمس:
" لن أقف عند باب مغلق. الباب التالي هو طريقي".

ليالي المطار

قضى بكيل يومين في المطار، متكورًا على مقعد بلاستيكي، حقيبته
تحت رأسه. لم يكن النوم يأتيه بسهولة. كان يرى وجوهًا مختلفة
حوله: نساء بأطفال، شباب ينامون على الأرض، رجال يحملون
أوراقًا مهترئة يساومون موظفي التذاكر.
في اليوم الأول، رأى شابًا يقترب من موظف الطيران، يدس ورقة
نقدية في جواره. لم يفهم بكيل في البداية، لكنه سمع الشاب يقول
همسًا:

" أرجوك، اجعلني في القائمة... حتى لو كانت ممثلة".
تذكر بكيل ما علّمه شيخه: "الرشوة من كبائر الذنوب، وهي فساد
في الأرض".
لكن قلبه تمتم:

"وهذا المسكين؟ إن لم يسافر الليلة، ربما يضيع مستقبله، وربما
ينتظره جحيم في العودة. أهى رشوة... أم استماتة للحياة؟"
في اليوم الثاني، شاهد امرأة تباع جزءًا من حليها لراكب آخر بسعر
بخس، كي تؤمن طعامًا لطفلها الرضيع.

تذكر ما قرأه في القرآن: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾،
ثم همس في نفسه:
"لكنها لم تُبخس بالقهر... هي التي مدّت يدها. أهي مظلومة... أم
أنها ضحّت بما تحب لتحفظ صغيرها؟"
وفي المساء، مرّ عليه أحد الشباب الذين تعرف عليهم في جيبوتي،
يناوله رغيف خبز:
" خذ يا بكيل... أكلت نصفه، والباقي لك".
رفض في البداية حياءً، لكن صاحبه أصرّ:
" في الغربية، لا يملك المرء إلا أن يقاسمك لقمته. نحن إما إخوة،
أو لا ننجو".
أحس بكيل أن المطار صار مدرسة عجيبة:
. هناك من يبيع ما يحب ليبقي غيره حيًّا.
. وهناك من يُدخل المال في جواره لينجو.
. وهناك من يقتسم الجوع قبل أن يقتسم الشبع.
جلس وحده آخر الليل، يردد في داخله:
"يا رب... علّمتني القيم من شيخ ربانيّ على قيم القرآن. واليوم
أراها في حياة مشقّة، ممزوجة بالاضطرار والعوز. دلّني كيف
أفهمها... لأنني لا أريد أن أبرر الباطل، ولا أن أنكر عذر
المضطر."

رحلة الطائرة إلى السودان

جلس بكيل قرب النافذة، يضم حقيبته إلى ركبتيه، ينظر إلى جناح
الطائرة وهو يشق الغيوم. كان التعب قد أنهكه، لكن عينيه ظلّتا
مفتوحتين، كأنه يخشى أن يغفل عن لحظة عبور جديدة في حياته.

جلس بجواره رجل في الأربعين من عمره، بوجه شاحب وشارب
كثيف، يضع رأسه على المقعد ويزفر تنهيدة طويلة.
التفت إلى بكيل وقال:
" إلى دارفور أيضا؟"
"نعم".

" عمل أم إغاثة أم دراسة في الخرطوم؟"
" بل السفارة التركية... أريد فيزا لأدرس في تركيا".
ضحك الرجل بسخرية قصيرة:
" تركيا؟ دراسة؟ يا بني... ستدور بك الدنيا سنين ثم تكتشف أن كل
ذلك وهم. أنا مثلك خرجت بأحلام، والآن... لا أحمل سوى الخيبة.
الحياة لا تعطيك إلا إذا أخذت منها بالقوة".
تجمدت كلمات بكيل لحظة، لكنه جمع نفسه وقال بهدوء:

" ربما معك حق... لكن إن استسلمنا منذ البداية، فلن نصل حتى
إلى الخيبة. أنا لا أريد القوة لأخذ... أريد العلم لأعطي".
تأمل الرجل فيه، ثم أشاح بوجهه نحو الممر دون تعليق.
أما بكيل فأدار نظره نحو الغيوم، وتمتم في داخله:
"اللهم اجعل هذا السفر شاهداً على صبري... لا على انكساري".
وبقي على يقين أن في كل مقعد بجواره قد يجلس درس جديد، لكنه
هو وحده من يختار كيف يتعلمه.

دارفور / سكن الجالية اليمنية

حين خرج بكيل من المطار إلى شوارع دارفور، أحس بالحرارة تلفح وجهه، والمدينة تضج بسيارات قديمة وازدحام لا ينقطع. بعد ساعات من البحث، بلغه خبر من أحد الركاب: "ثمة بيت خصصته جامعة هنا للطلبة اليمنيين... إن قصدته ستجد لك مأوى".

توجه إليه، حتى وصل لبناية قديمة ذات جدران باهتة. طرق الباب، فاستقبله شاب يماني بوجه بشوش: "أهلاً... أنت جديد؟"

"اسمي بكيل... وصلت اليوم فقط".
"حيّاك الله، أنا صوفان. تفضل، ستجد بيننا مكاناً".
دخل بكيل إلى الداخل، فإذا بالمنزل أشبه بخلية بشرية:
. في إحدى الزوايا شابان يلعبان الورق ويضحكان بصوت مرتفع.

. في الغرفة الثانية مجموعة طلاب يناقشون محاضرات الجامعة، دفاترهم مفتوحة وأقلامهم تتحرك بسرعة.
. وعلى السطح، كان شاب يفرش سجادته ويطيل السجود في صلاة خاشعة.

جلس بكيل بينهم، وأحس أن المكان لا يجمعهم فقط كغربة، بل يفرقهم كقيم.
في الليل، جلس مع مضيفه "صوفان" يتحدثان:
"ستجد هنا كل الألوان يا بكيل. من يضئ وقته في اللهو، ومن يغرق في الدراسة، ومن لا يعيش إلا للذكر والعبادة. كل يرى الغربة بطريقته".

أطرق بكيل برهة وقال:
" الغربية امتحان يا صوفان . وأنا... لا أريد أن أضيع وقتي.
خرجت لأتعلّم... ولن أعود إلا بشيء يعيد للناس ما فقدوه".
ابتسم صوفان وربت على كتفه:
" إذن ستجد مكانك بيننا... لكن تذكر، ليس الطريق كله نظيفًا،
سُتعرض عليك طرق مختصرة قد تُغريك. هنا يبدأ التحدي".
رفع بكيل نظره، وأحس أن هذا السكن سيكون فصلًا جديدًا من
قصص القيم المتناقضة التي عليه أن يختار منها مساره.

جلسة ليلية في سكن الجالية

في المساء، اجتمع معظم شباب السكن في الغرفة الكبيرة. مروحة
قديمة تتأرجح في السقف، وأصوات المدينة تتسرب من النوافذ.
جلسوا متحلقين حول إبريق شاي يغلي على موقد صغير.
بدأ سالم، شاب نحيل يدرس التجارة، وقال بحماس:
" الغربية فرصة ذهبية يا جماعة! هنا نعيش بلا قيود العشيرة، ولا
تدخل الكبار... من يدرس ويتعب سيصنع لنفسه مستقبلًا".
قاطعه عبد الرزاق، وهو أكبرهم سنًا وقد بدا عليه التعب:
" أنت تحلم كثيرًا يا سالم. الغربية ليست إلا هروبًا من حرب هناك،
وحرب أخرى هنا. نحن مجرد عمالة رخيصة، لا أكثر".
ابتسم مازن، وهو لاعب ورق معروف بينهم، وقال وهو يقلب
أوراقه:
" أما أنا فأقول: الغربية فرصة للتمتع. نكسب ما يكفينا للعيش يومًا
بיום، ونضحك ما استطعنا. غداً قد لا يأتي أصلاً".

من زاوية الغرفة، رفع حميد رأسه من مصحفه، وقال بهدوء:
" الغربية تذكرة من الله لتتذكرى النفوس. من لم يزد البعد عن وطنه
قرباً من ربه، فقد ضيّع طريقه".
ساد صمت قصير. كانت كلماتهم تتناثر مثل سهام مختلفة الاتجاه،
كل واحد يرى الغربية بلون غير الآخر.
جلس بكيل يستمع، قلبه يتأرجح. "أيهم على صواب؟ سالم بعزيمته؟
عبد الرزاق بخييته؟ مازن بلذته؟ أم مالك بخشوعه؟"
أمسك كوب الشاي، شرب رشفة، ثم قال بصوت هادئ:
" الغربية امتحان يا إخوتي... لكنها امتحان مفتوح. كل واحد يكتب
جوابه بطريقته. أنا جئت لأتعلّم... لأبني شيئاً يعود نفعه على
الناس. لست أفضل منكم، لكني لا أرى لي طريقاً غير هذا".
نظروا إليه لحظة، ثم تنوعت ردودهم:
سالم ابتسم بإعجاب، عبد الرزاق هزّ رأسه ساخراً، مازن ضحك
وأطلق نكتة، وحميد قال:
" ثبتك الله يا بكيل... فالنية أول الطريق".

الطريق إلى العاصمة

بعد أسبوع كامل من المحاولات، لم يجد بكيل من يقلّه إلى العاصمة
حيث السفارة التركية. كل من سألهم ردوا:
" الطريق طويل ومتعب... والوقود غالٍ... لن نذهب إلا إن كان
معنا ركاب أكثر".

قضى أيامه ينتظر، وليلته يستمع لأحلام رفاق السكن عن "تركيا" وكأنها جنة قريبة.

وفي مساء اليوم السابع، طرق عليه أحدهم الباب قائلاً:
"وجدت لك رجلاً عنده شاحنة قديمة، مستعد أن يأخذك الليلة... لكنك وحدك".

شدّ بكيل حقيبته على كتفه، وخرج. كان الليل قد أرخى سدوله، والقمر يطل بين غيوم متناثرة.
ركب في مقعد خشبي بجوار السائق، رجل أسمر بوجه صلب وعينين لا تفارقهما الحذر.
تحركت الشاحنة ببطء أولاً، ثم أسرعت عبر طرق ترابية موحلة.
سأل بكيل بعد ساعة:
"كم تبقى لنصل؟"
أجابه الرجل:

"إن سارت الأمور بسلام... مع الفجر نكون عند العاصمة".
صمت بكيل لحظة، ثم نظر إلى السماء من نافذة الشاحنة المفتوحة، وتذكر دعاء شيخه يوم ودّعه:

"اجعل نيتك لله، وسترى كيف يفتح لك الأبواب".
لكن الطريق لم يكن مستقيماً. بعد منتصف الليل، اعترضتهم نقطة تفتيش عشوائية. رجال بوجوه غليظة يلوحون بالعصي. أشار أحدهم:

"أين أنتم ذاهبون؟"

رد السائق بحذر:

"إلى العاصمة... معي هذا الفتى فقط".

"رسوم المرور... قالها الرجل بلهجة أمر.

أخرج السائق بضع أوراق نقدية، دسّها في يد الشرطي، فأشار لهم بالمرور.

جلس بكيل متسمراً . "أهذه رشوة... أم واقع لا سبيل لتجاوزه؟"
تذكر آيات شيخه، وتذكر ليلتي المطار، وتساءل في داخله:
"هل نكون مضطرين فنستبيح؟ أم أن الاستقامة معناها أن نُقصى دائماً؟"
واصلوا المسير، وصوت المحرك يختلط بأسئلة بكيل الداخلية، حتى
بدأ يلوح ضوء الفجر البعيد.

أمام السفارة التركية

وقف بكيل أمام بوابة السفارة التركية في الخرطوم، أوراقه في يده
وابتسامة أمل لا تفارقه، فإذا بلافتة كبيرة معلقة على الباب:
"إجازة لمدة شهر... أعمال صيانة وبناء".
تجمّد مكانه. شعر كأن الأرض سحبت من تحت قدميه. جلس على
الرصيف، رأسه بين يديه . "شهر كامل؟ كيف أصبر؟ وماذا عن
المال الذي ينفد يوماً بعد يوم؟"
وبينما هو غارق في دوامة أفكاره، اقترب رجل أشقر، متوسط
العمر، لا يحسن العربية، يحمل ملفات كثيرة بيد، ويجر حقيبة مليئة
بالأوراق باليد الأخرى. ملامحه توهي بالانهاك، وعينيه تبحثان في
الوجوه.
اقترب منه وقال بلغة عربية مكسرة:
" أنت... تعرف انجيزي... جيد؟"
رفع بكيل رأسه بدهشة:
" نعم، اللغة الإنجليزية، كما إن العربية لغتي الأم".
الأشقر: "أنا... أعمل مع منظمة إغاثية. مشكلة... لا أحد يترجم
للناس. تحتاج مساعدة...؟"

تردد بكيل لحظة، ثم أجاب:
" أستطيع مساعدتك...".
ابتسم الأجنبي ابتسامة واسعة، كأنه وجد كنزًا:
" عظيم! اسمي جون. تحتاج المنظمة لمترجم... ولو مؤقت. تعال
معي".
لم يكن بكيل يعلم أن هذه الجملة ستفتح أمامه بابًا جديدًا.

المشهد الميداني الأول

في اليوم نفسه، رافق جون إلى مركز إغاثة مؤقت عند أطراف
العاصمة. كان المكان مكتظًا: خيام بيضاء، أطفال حفاة، نساء
متعبات، ورجال جرحى ينتظرون دورهم.
وقف جون أمام أحد الجرحى، رجل بُترت ساقه في الحرب، وأراد
أن يسأله عن حاجاته. التفت إلى بكيل:
جون طالبًا من بكيل: "ترجم... قل له: ما أكثر ما تحتاجه الآن؟"
ترجم بكيل، فجاء الجواب صاعقًا:
" لا أريد طعامًا ولا بطانيات... أريد أن أقف من جديد. أن أسير
كما يسير الناس".
اهتز قلب بكيل، كأن الكلمات اخترقت روحه. نظر إلى الرجل، ثم
إلى ساقه المبتورة، وارتجف داخله:
"هذا هو ما حلمت به... هذا ما خرجت من وطني لأجله... أن
أصنع لهم أطرافًا تعيدهم للحياة".

التفت جون إليه وهو يدوّن الملاحظات، ولاحظ شرود بكيل فقال:
" أنت ... بخير؟"
أجابه بكيل بصوت متهدج:
" نعم... فقط... هذه ليست مجرد ترجمة بالنسبة لي. هذا الرجل
يذكرني بسبب وجودي هنا".

بداية الاعتماد

في اليوم التالي، اتصل جون ببكيل:
" أحتاجك... رسميًا. أنت تفهم الناس... وهم يثقون بك".
لم يصدق بكيل أن كلماته البسيطة في الأمس فتحت له هذا الباب.
ذهب معه إلى مقر المنظمة، حيث وقع أوراقًا بسيطة جعلته مترجمًا
ميدانيًا متعاونًا.
ومنذ تلك اللحظة، صار بكيل يرافق جون في جولاته اليومية:
. في الصباح، يزورون خيام النازحين لتسجيل بياناتهم.
. عند الظهر، يجلسون مع فرق طبية تعالج الجرحى.
. وفي المساء، يوزعون مساعدات غذائية.
كان بكيل يترجم، لكن عينيه تلتقطان ما وراء الكلمات:
. رأى طبيبة شابة تمسح دموع طفل قبل أن تضمد جرحه.
. ورأى موظفًا آخر يسرق من حصص الطعام ليبيعه سرًا في
السوق.
. سمع امرأة تقول: "أنتم ملائكة"، بينما في الخيمة المجاورة
رجل يصرخ: "أنتم تتاجرون بمآسينا!"

حوار داخلي - بكيل في الليل

عاد إلى سكنه منهكًا، جلس على حصيره، وأغمض عينيه.
"شيخي علّمني أن الصدق لا يتجزأ... واليوم أرى أن حتى العمل
الخيرى يختلط فيه النور بالظلام. هل أصمت؟ هل أواجه؟ أم أتعلم
لأصنع بديلاً أنقى؟"
تذكر الرجل الذي بُترت ساقه، وتذكر كلمات رفاقه في السكن:
"الغربة لهو".
"الغربة تجارة".
"الغربة تزكية".
فتح عينيه وهمس:
"الغربة... امتحان. وأنا اخترت جوابي."

لمسة من جون

في أحد الأيام، بعد جولة طويلة، جلس جون بجوار بكيل، وربت
على كتفه:
"أنت مختلف... أغلب المترجمين يفعلون فقط ما يُطلب منهم.
أنت... تفكر أبعد".
ابتسم بكيل بخجل وقال:
"لأنني أعيش ما أترجمه. كل كلمة تمر بي كأنها تخصني".

من هنا، صار بكيل أكثر من مترجم:
. أصبح وسيطاً بين الناس والمنظمة.
. بدأ يفهم كيف تعمل المنظمات: أوراق، ميزانيات، لجان...
بعضها يخلص، وبعضها يتاجر.

. والأهم: بدأ يقترب أكثر من مبتوري الأطراف، يسمع قصصهم، يرى كيف فقدوا حياتهم الطبيعية، وكيف يحلمون بالعودة للمشي.

وهكذا، لم يكن يدري أن طريقه إلى المنحة التركية صار يمر عبر معسكرات اللاجئين، وأن كل يوم يقضيه هنا كان يُعمق حلمه ويصقله.

فوضى توزيع المساعدات

كان النهار قائظاً حين وصلت شاحنة المنظمة إلى مخيم النازحين. عشرات العائلات احتشدت حولها قبل أن تُفتح الأبواب، العيون مشتتة بالجوع، والأيدي تمتد قبل أن تُوزع أي حصة. وقف جون مع فريقه مرتبگًا، يصرخ بالإنجليزية، لكن صوته يضيع بين الضوضاء.

"Please! One by one! Calm down!"

لم يفهم أحد. دفع رجل شاب امرأة لتسبق، فسقطت وهي تحتضن طفلها. ارتفعت الصرخات، وكاد الشجار يتطور. هنا اندفع بكيل إلى الأمام، صوته يعلو بالعربية: "يا ناس! على مهلكم! الرزق مقسوم ولن يضيع. اجلسوا أرضاً، كل واحد سيأخذ حقه".

لكنهم لم يهدؤوا. فكر سريعاً، تذكر ما كان يسمعه من شيخه: "الكلمة أحياناً تعجز، لكن العدل إذا ظهر، سكنت الألسنة."

صاح من جديد:
" لن يبدأ التوزيع إلا إذا اصطفتكم في طابورين: النساء والأطفال أولاً، ثم الرجال. ومن يعارض، فليخرج."
كان صوته حازماً، نبرته مختلفة، كأنها تحمل يقيناً جعل الناس يترددون. ثم أشار إلى رجلين كبار السن:
" أنتما... تعالوا قربي. أنتما ستشرفان معي على التوزيع. أمام الجميع."
بدأت الجموع تهدأ، جلس بعضهم، واصطف آخرون. وعاد النظام شيئاً فشيئاً.
حتى جون نفسه بدا مذهولاً. همس لمساعدته بالإنجليزية:
"He's not a translator... he's a leader."
حين انتهى التوزيع بسلام، عاد بكيل متعرقاً، لكن في عينيه بريق جديد.
"لم أكن أنوي... لكني لم أحتمل أن أرى الناس ينهارون. ربما القيادة ليست قراراً... بل استجابة."

لمسة بعد الأزمة

اقترب جون منه، وربت على كتفه بقوة:
" بكيل... أنت أنقذت اليوم. لو لم تتدخل، لضاعت المساعدات ولحدثت كارثة. من اليوم... لست مترجماً فقط. أنت شريك ميداني."
ابتسم بكيل ابتسامة خجولة، لكنه داخلياً شعر أن هذه اللحظة كانت أول اعتراف عملي بقيمته خارج حدود حلمه الدراسي.

بعد الحادثة

في طريق العودة من المخيم، جلس جون إلى جوار بكيل في السيارة، ينظر إليه بطرف عينه بين الحين والآخر. بدا كأنه يحاول أن يجد الكلمات المناسبة.

"بكيل... ما فعلته اليوم... ليس عادياً. أنت أنقذت الناس، وأنقذت عملنا".

ابتسم بكيل بخجل:

"أنا فقط لم أحتمل الفوضى... تعلمت من شيخي أن الكلمة لا تكفي إن لم تصحبها عدالة".

أطرق جون لحظة ثم قال:

"اسمع... لا أريدك أن تضيع وقتك متنقلاً بين السكنات العشوائية. سأرتب لك غرفة قريبة من مكتبنا. والمواصلات... معي دائماً، لن تدفع شيئاً. نحتاجك بقربي".

تسارعت دقات قلب بكيل. لم يكن يتوقع أن يلقي هذا الاحتضان السريع.

"من غريب بلا مأوى... إلى شخص يجد له مكاناً يحميه".

لقاء مع المبتور

في المساء، زار جون وبكيل عيادة ميدانية صغيرة. هناك جلس رجل في منتصف العمر على سرير خشبي، بطانية خفيفة تغطي نصف جسده، وساقه اليسرى مبتورة من الركبة.

ابتسم الرجل لبكيل وقال:

"يا بني... شكراً لأنك تساعدهم في فهمنا. لكن هل تستطيع أن تسمعني أنت، بلا ترجمة؟"

اقترب بكيـل، جلس قربه، وأمسك بيده.
" تفضل... أنا معك".
تنهد الرجل وقال:
" كنت أعمل خبازًا. ساقى كانت قوت أطفالي.
حين ذَهَبَتْ... لم يذهب الخبز فقط، بل ذهب جسدي عن مخالطة
الناس.
اليوم، كل ما أريده أن أعود وأقف. حتى لو بـقدم حديدية".
لم يتمالك بكيـل نفسه، فشعر بدموعه تحرق عينيه.
"هذا هو... هذا ما حلمت به. ليس دراسة فقط، بل أن أعيد لهؤلاء
معنى أن يكونوا بشرًا كاملي الوقوف".
قال بصوت متهدج:
" إن شاء الله... سيأتي يوم تعود فيه واقفًا. والله لن أنسى كلامك".

أثر داخلي

عاد بكيـل تلك الليلة إلى غرفته الجديدة، جلس على سريره،
وأغـمض عينيه.
"سبحان ربي... لم أفهم لماذا أُغـلقت أبواب السفارة... لكن الآن
أفهم. لقد فتح الله لي بابًا آخر... أعظم مما توقعت".

المهمة الأولى لبكيل

في صباح قانظ، استدعاه جون إلى مكتبه الميداني:
"اليوم، لن أذهب معكم. أنت، يا بكيل، ستشرف على التوزيع.
الفريق المحلي يثق بك... وأنا أيضاً".
شعر بكيل بارتباك داخلي. "أنا؟ وحدي؟" لكن صوتاً آخر داخله
ذكره بما حفظ من كتاب تحويل الأزمات لإنجازات:
"الأزمة ليست عائفاً، بل باباً يكشف قدرتك على تحويل الاضطراب
إلى نظام."
انطلق مع فريق صغير إلى قرية على أطراف الخرطوم. عند
وصولهم، وجد عشرات العائلات تنتظر، والحرارة تزيد من التوتر.
سرعان ما بدأ الناس يتدافعون، كل يريد أن يكون أول من يستلم.
وقف بكيل في المقدمة، واقترب من شيخ القرية، همس له:
"اجلس أنت هنا، وكن شاهدي. سنبدأ بالعجزة والأرامل. الناس
تثق بك".
جلس الشيخ في المقدمة، فأذعن كثيرون. ثم أضاف بكيل بصوت
عال:
"الأطفال والنساء أولاً، ثم الباقون. وكل ما لدينا سيكفي للجميع".
ببطء، بدأ الطابور يتشكل. الأطفال يضحكون ينتظرون الاستلام،
والنساء يدعون له، والرجال يراقبون بصمت.
قبل التوزيع، اكتشف أن الصناديق أقل مما توقعوا. هنا كاد التوتر
يعود. لكنه تنفس بعمق وقال لنفسه:
"هنا الامتحان... إما فوضى جديدة، أو ابتكار يحول الأزمة".
أوقف التوزيع لحظة، ثم قال:
"لن نعطي صندوقاً كاملاً لكل عائلة... بل نقسمها.
هكذا يأخذ الجميع نصيباً متساوياً. ومن أراد المزيد، نعهده بالعودة
غداً".

لم يرضَ البعض في البداية، لكن بكيل لم يتراجع. جلس بنفسه يقسم الحصص أمام أعينهم، حتى ساد الهدوء.

بعد المهمة

حين عاد الفريق، أرسل جون رسالة قصيرة إليه:
"رائع... لقد نجحت. تعلمت أن العدل ليس كلامًا، بل إدارة موارد شحيحة بعدل شجاع".
جلس بكيل تلك الليلة على سريرهِ الجديد، يبتسم رغم التعب.
"اليوم أدركت أن القيم ليست شعارات... إنها قرارات صعبة، تُتخذ وسط التوتر والعرق. هذا أول درس من مدرستي الميدانية."

المهمة الثانية لبكيل

حين وصل بكيل وفريقه إلى القرية، كان الناس قد تجمعوا بكثافة أمام الشاحنة. العطش والجوع جعل الأصوات عالية والوجوه متوترة. وما إن بدأ الفريق بإنزال الصناديق حتى تدافع الجميع، رجالًا ونساءً وأطفالًا، يتزاحمون ويصرخون:
"أعطونا أولًا!"
"نحن جائعون منذ أمس!"
حاول أحد المتطوعين تهدئتهم بلا جدوى. بدا الموقف على وشك الانفجار.
وقف بكيل متسمّرًا لحظة، ثم تذكر

أسرع إلى حقيبته، أخرج دفترًا صغيرًا ومقصًا صدئًا كان يحمله معه. بدأ يقص الأوراق بسرعة ويكتب عليها أرقامًا بخط يده. التفت إلى الناس وصاح بصوت مرتفع: "توقفوا جميعًا! لن يأخذ أحد شيئًا قبل أن يحصل على رقم. من لديه رقم، له حصته مضمونة. من ليس لديه رقم... فلن يأخذ شيئًا!"

تجمدت الجموع، ثم بدأوا يتدافعون نحوه لأخذ قصاصات الورق. لكنه لم يوزعها اعتباطًا، بل طلب من المتطوعين أن يقسموا الحشد إلى صفوف، ويوزعوا الأرقام صفًا صفًا. بعد دقائق، صار كل شخص يحمل ورقة صغيرة كأنها بطاقة سحرية. الفوضى تراجعت، العيون اطمأنت: "حقي لن يضيع".

أشار بكيل إلى الصناديق وقال: "سنبدأ بالرقم واحد، ثم اثنين، وهكذا. اجلسوا حيث أنتم، وسأعلن كل رقم بصوت عالٍ".

وهكذا بدأ التوزيع بانسياب غير مسبوق. حتى الأطفال جلسوا يراقبون، يتنافسون فقط في سماع نداء أرقامهم.

شيخ القرية

حين انتهوا، اقترب أحد شيوخ القرية من بكيل وقال بإعجاب: "أنت لم تأتنا بالطعام فقط... بل علمتنا أن النظام يُشبع أكثر من الفوضى".

وفي الطريق للعودة، التفت جون إليه وقال بجدية: "بكيل... أنت خلقت اليوم طريقة جديدة. ليست المسألة طعامًا، بل ثقة. أنت لم توزع مساعدات، بل وزعت أملًا".

جلس بكيل تلك الليلة يكتب في دفتره:
"اليوم تعلّمت أن العدالة لا تكفي وحدها... لا بد أن تلبس ثوب
الابتكار. كل أزمة تحمل في قلبها فرصة، فقط إن مددت يدك
إليها."

مفترق الطرق

بعد أربعة أسابيع من العمل الميداني المتواصل، جلس بكيل في
مكتب جون، وقد بدا عليه التردد.
قال بخجل:

"جون... لقد أوشكت صيانة السفارة التركية أن تنتهي. أريد أن
أذهب هذا الأسبوع... فربما أحصل على منحة حلمت بها طويلاً".
تأمل جون وجهه لحظة، ثم تنهد:

"بكيل... أنا لا أريد أن أخسر. ما قدمته في هذه الأسابيع يعادل
ما يقدمه فريق كامل. المنظمة قررت أن تعرض عليك عقدًا رسميًا:
راتب ثابت، سكن مضمون، ومواصلات خاصة. يمكنك أن تبقى
هنا... وتصنع فارقًا الآن، لا بعد سنوات".

تسارعت دقات قلب بكيل. "راتب؟ سكن؟ أمان؟ هذا ما أفقده منذ
خرجت من قريتي... لكن... ماذا عن حلمي؟"

جلس صامتًا، يسمع صدى كلمات شيخه في داخله:
"النية هي البوصلة. قد تبدو لك طرق متعددة، لكن ما صدقت فيه،
سيقودك إلى حيث أراد الله."

رفع نظره إلى جون وقال:

"أنت تعرض ما لم أحلم به حتى. لكن عليّ أن أفكر... فقلبي لم
يحسم بعد".

خرج بكيل من المكتب، يمشي في شوارع الخرطوم التي اعتادها،
وفي داخله حوار لا يهدأ:
"هل أترك تركيا لأجل عمل لم أخطط له؟ أم أن هذا العمل هو
المنحة الحقيقية التي ساقها الله إليّ؟"

بين العرض والفيزا

خرج بكيل من مكتب جون بعد أن قال له بهدوء:
"لن أرفض عرضك يا جون... لكن أحتاج وقتًا لأفكر. أعطني
مهلة... يومين أو ثلاثة".
ابتسم جون، وربت على كتفه:
"خذ وقتك، لكن تذكر... الفرصة لا تنتظر طويلاً".
في اليوم التالي، شد بكيل حقيبته الصغيرة وتوجه إلى السفارة
التركية. كان قلبه يخفق وهو يقترب من البوابة التي ظل يحلم بها
لشهر كامل.
وقف في الطابور بين العشرات، يحمل ملفه المتواضع. وعندما
دخل، قدم أوراقه لموظف تركي أنيق الملامح. تصفح الموظف
الأوراق سريعًا ثم قال:
"الأوراق مقبولة مبدئيًا. راجعنا بعد يومين... سنبلغك بالنتيجة".
خرج بكيل من السفارة بخطوات بطيئة، ووقف عند ظل شجرة
على الطريق.
"الآن... أمامي يومان. يومان كميزان حساس: في كفة... عرض
جون وما يحمله من استقرار وتجربة حية. وفي الكفة الأخرى...
حلمي الذي لأجله خرجت من وطني".

رفع رأسه إلى السماء وقال في نفسه:
"يا رب... اجعلني أرى بعين الحكمة، لا بعين الهوى. داني على
الباب الذي فيه الخير لي وللناس."

الصدمة عند السفارة

مضت ليلتان متتاليتان، لم يذق فيهما بكيل طعم النوم. كان عقله
مشغولاً بترتيب تفاصيل رحلاته القادمة: "إن استلمت الجواز مع
الفيزا، سأحجز التذكرة فوراً... وسأطير إلى تركيا... وأبدأ الطريق
الذي حلمت به."

مع أول خيط من الفجر، خرج إلى الشارع، حقيبته الصغيرة إلى
جواره، واستقل سيارة أجرة متجهًا نحو السفارة. وصل مبكرًا، قبل
ساعات من فتح الأبواب، واضطر للانتظار تحت أشعة الشمس
الحارقة، يتصبب عرقًا لكنه يحبس الأمل في صدره.
عند الساعة العاشرة تمامًا، فُتحت الأبواب. كان أول الداخلين. تقدم
نحو الشباك بقلب يخفق، ناول الموظف هويته، وانتظر لحظة كأنها
دهر.

رفع الموظف رأسه ببرود وقال بالعربية المكسرة:
"عذرًا... طلبك مرفوض."

تجمدت الكلمات في حلق بكيل.

"مرفوض؟! لماذا؟ كل أوراقى كاملة...! انتظرت شهرًا..."

أغلق الموظف الملف، وأجابه بجفاف:

"لا أستطيع شرح السبب. القرار نهائي. يمكنك إعادة التقديم بعد
سنة أشهر."

ارتبك بكيل، تراجع خطوتين إلى الوراء، ثم خرج من السفارة يجر قدميه ببطء. وقف عند الرصيف، والمدينة تدور من حوله. "شهر كامل ضاع... وكل ما بنيته من أحلام انهار بكلمة واحدة." جلس على حافة الرصيف، مد يديه إلى وجهه، والعرق يختلط بالدموع. لكنه في وسط العاصفة سمع صدى داخلياً من شيخه القديم: "إذا أغلق الله باباً... فهو لا يردك إلى العدم، بل إلى باب آخر لم تراه بعد."

رفع رأسه، تنفس بعمق، وحدّث نفسه: "ربما... كان عرض جون ليس بديلاً عابراً، بل الطريق الحقيقي الذي خُط لي. الآن عليّ أن أختار: هل أعود إليه؟ أم أستسلم للخيبة؟"

عودة إلى جون

دخل بكيل مكتب جون، بخطوات واثقة لكنها مثقلة بالتفكير. ابتسم جون حين رآه: "ها أنت عدت... هل فكرت في عرضي؟" جلس بكيل قبالة، تردد قليلاً ثم قال: "جون... سأكون صريحاً معك. أنا أقدر ما عرضته عليّ، وأقدر ثقتك. لكن لدي شرطين لأقبل." رفع جون حاجبيه بدهشة: "شروط؟ هات ما عندك."

تنفس بكيل بعمق:
" الأول... أن تكون علاقتنا ثقة صادقة، لا علاقة موظف بمدير. نحن تجاوزنا ذلك في الميدان، وأريد أن تبقى هذه الروح.
والثاني... أن أجمع من عملي هنا ما يقويني مستقبلاً، حتى إذا جاء يوم حصلت فيه على تأشيرة أو منحة، أكون قادراً على السير بخطوات ثابتة. لا أريد أن أبقى بلا خيار".
أطرق جون لحظة، ثم ابتسم وقال:
" أعجبني ذلك. أنت لا تبحث عن راتب فقط... بل عن كرامة ورؤية للمستقبل. وهذا ما يجعلني أتمسك بك أكثر".
مد يده نحو بكيل وقال بحزم:
" إذن... اتفقنا".
صافحه بكيل بحرارة، وفي قلبه راحة غريبة. "الآن لم أعد ضائعاً... لا متشبهاً بحلم بعيد وحده، ولا مستسلماً لواقع ضاغط وحده. بل اخترت أن أمشي بخطوات متزنة".

أثر داخلي - بكيل تلك الليلة

جلس في غرفته الجديدة، يكتب في دفتره:
"اليوم تعلمت أن التوازن ليس ضعفاً، بل حكمة. أن تمسك بيدك الأمل، وبالأخرى العمل. أن تعيش الحاضر بجدية، وتبقى المستقبل حياً في قلبك".

في الجامعة التركية إسطنبول

مضت أربعة أشهر، واجتمع موظفو لجنة المنح الدراسية أمام القوائم، تنتقل أعينهم بين الأسماء.
قالت المسؤولة:
" هذا الطالب ... بكيل الحارثي اليمن .لم يتمكن من الوصول بسبب التأشيرة".
رد آخر:
" إذن يُدرج في قائمة التمديد الخاص. نمحه فرصة أخيرة، فلعل ظروفه تتحسن".
سُجل اسمه مجددًا مع ملاحظة: "تمديد مؤقت ونهائي انتظار وصول".

في الخرطوم - مخيم الإغاثة

في اللحظة نفسها، كان بكيل يسير بين الأزقة الضيقة للخيام، يتفقد الوجوه. مر بجوار طابور طويل ينتظر حصص الطعام، لكنه لم يتوقف.
لفت نظره بيت مهترئ من الصفيح على طرف المخيم. طرق بخفة، فخرجت امرأة بثياب بسيطة، وعينيها تخفيان حياءً عميقًا. خلفها طفلان نحيلان يختبئان.
قال لها بلطف:
" السلام عليكم... لم أركم بين الطوابير. ألا تستلمون حصتكم؟"
أجابت بصوت خافت:
" نحن... لا نحب الزحام. الله كريم".

ابتسم بكيل، وأخرج من حقيبته استمارة التمويل الغذائي الأسبوعي، وناولها لها:
" هذه لكم. لا حاجة للطابور بعد الآن. حصتكم محفوظة".
ارتجفت عينا المرأة بالدموع، وقالت وهي تمسك بالورقة كأنها كنز:
" جزاك الله خيرًا يا بني... ما كنت لتعلم عنا لو لم يبعثك الله إلينا".
ابتسم بكيل ابتسامة دافئة، وفي داخله صوت:
"العطاء ليس أن توزع على من يمد يده... بل أن تطرق باب من يستحي أن يمدّها".

الخبر الصاعق

في مساء حار، جلس بكيل على حافة سريره في غرفته، يتفقد هاتفه القديم. وإذا برسالة تصله من صديقه:
"بكيل، تخيل! كل الطلبة اليمنيين الذين ذهبوا للسفارة التركية في قبرص حصلوا على التأشيرات. بدأوا يحجزون تذاكر السفر لتركيا!"
تجمدت أنفاسه. شعر وكأن الأرض تميد تحت قدميه.
"قبرص؟ لو كنتُ ذهبتُ معهم... لكنني الآن على أعتاب حلمي."
وقف يتجول في الغرفة كالمسحور، يفتح يديه ويغلقهما.
"هل أقطع عهدي مع جون وأسافر؟ أم أنتظر شهرًا آخر... ربما تفتح لي السفارة أبوابها؟"
تلاطمت الأفكار في رأسه:
. صوت داخلي يصرخ: "لا تخن حلمك!"
. آخر يهمس: "لا تخن من وثق بك!"

الاجتماع الطارئ

في صباح اليوم التالي، دخل بكيل على جون فجأة، ملامحه متوترة: "جون... أحتاج إلى اجتماع عاجل معك. الآن، لا غداً". أدرك جون من عينيه أن الأمر مصيري. أوقف أوراقه، وأشار له بالجلوس.

قال بكيل بصوت يرتجف لكنه واضح: "وصلني خبر... أن زملائي في قبرص حصلوا جميعاً على التأشيرات لتركيا. أنا الآن أمام قرار حاسم: إما أن أقطع عهدي معك وألحق بهم، أو أبقى هنا معك. لا أريد أن أتهرب من المواجهة، لذلك جئت لأضع القرار أمامك وجهاً لوجه". ساد صمت ثقيل. جون يحدق فيه، يدرك أن ما سيقوله بكيل الآن قد يغير مسار حياته.

وبكيل نفسه شعر أن قلبه بين يديه: "هذا هو الامتحان الأكبر... أن تختار بين الوفاء لحلمك، أو الوفاء لعهدك". قاطعه جون بابتسامة هادئة، وقد أشار إلى هاتفه: "مبروك يا بكيل. لقد جاءت رسالة أصدقائك في وقتها تماماً". ارتبك بكيل، وحدق في جون بدهشة: "رسالة؟ أي رسالة؟"

ضحك جون وقال:

"عن زملائك الذين حصلوا على التأشيرات في قبرص. لكن اسمع... لن تحتاج أن تشعر بالحيرة بعد الآن. لقد قررت بعثتنا أن تفتح فرعاً في إسطنبول الشهر القادم. وإن شئت، سأشرح اسمك لتكون أول من يلتحق بنا هناك كمرشد للفريق الجديد، تشرح لهم نظامنا وتدير عملهم".

تسمرت الكلمات في أذن بكيل، ثم تهلّل وجهه حتى غمره نور لم يعرفه منذ زمن طويل. نهض من مكانه، واحتضن جون بحرارة، والدموع في عينيه:

" الحمد لله... ما كنت أرغب إلا أن أفي بو عدي لك، فإذا بك تجزل لي العطاء. هذا لطف الله، أن يفتح بابين معاً".

رفع رأسه إلى السماء وهمس:

"يا رب... علمتني أن الوفاء لا يضيع، وأن من صدق معك، فتحت له أبواباً ما كان ليطرقها بنفسه."

عدوى القيم تنتقل

في مكتب صغير، بعد أن هدأ الحديث عن إسطنبول، جلس جون يحدّق في بكيل مطوّلاً، ثم قال ببطء:

" بكيل... أريد أن أسألك شيئاً. كيف تحليت بكل هذا الصبر؟ كيف لم تفقد الأمل حين رُفضت تأشيرتك؟ وكيف تبقى مبتسماً حتى وأنت تواجه أناساً يصرخون ويكادون يقتتلون؟"

ابتسم بكيل ابتسامة هادئة وقال:

" لستُ أفضل من غيري يا جون. لكنني تعلمت منذ كنت صغيراً أن ما عند الله لا يُنال إلا بالصدق والصبر. شيخي في اليمن كان يردد علينا: من صبر نال، ومن صدق وصل".

هز جون رأسه، كأنه يسمع شيئاً غريباً عليه لكنه يلامس داخله.

" أنا عملت في الإغاثة عشرين سنة... رأيت آلاف المواقف. لكن نادراً ما رأيت شاباً مثلك يحوّل اليأس إلى قوة. يبدو أن ما تسميه... القيم... أداة أقوى من كل ما في منظمتنا من أنظمة".

ضحك بكيل وقال:

" القيم يا جون كالعدوى... إن وجدت من يحملها بصدق، سرّت

فيمن حوله. ربما اليوم نراك تبتسم وأنت تتحدث عنها... وغداً
تنشرها من حيث لا تدري".
ظل جون صامتاً لحظة، ثم أطرق رأسه وقال بصوت خافت:
"ربما... ربما بالفعل".

الطائرة إلى قبرص

في فجر ذلك اليوم، وقف بكيل أمام مدخل المطار، حقيبته الصغيرة
على كتفه، ووجهه يشع امتناناً.
صافح جون بحرارة وقال له:
"أراك في إسطنبول قريباً، يا بكيل. لا تنس... ما تعلمته هنا
ستحتاجه هناك".
ابتسم بكيل، وعيناه تلمعان:
"وأنت يا جون... لا تنس أن القيم إن أمسكت بها، لن تفانك أبداً".
تعانقا لحظة صادقة، ثم اتجه بكيل نحو بوابة السفر. صعد إلى
الطائرة، جلس بجوار النافذة، ومع انطلاقة المحركات وإقلاع
الطائرة، شعر أن قلبه يعلو مع جناحيها.
"يا رب... كنت أظن أن الأبواب أغلقت، فإذا بك تفتح لي سماءً
جديدة. علّمتني أن الوفاء لا يضيع، وأنت تبسط لي حين أظن أن
الأرض ضاقت".

لحظة الوصول

مع أول شعاع شمس يشرق على قبرص، هبطت الطائرة. حمل
بكيل حقيبته، نزل بخطوات متسارعة كأن الأرض كلها تناديه.

كانت الساعة صباحًا، والمدينة تستيقظ على أصوات العصافير
ورائحة القهوة المنبعثة من المقاهي.
وقف أمام بوابة المطار، يلتقط نفسًا عميقًا ويقول لنفسه:
" أول محطة... السفارة التركية. لن أضيع لحظة. أوراقي جاهزة،
وحلمي حاضر".
رفع رأسه نحو السماء، وكأن قلبه يخاطبها:
"اللهم إن كنت كتبت لي أن أكون سببًا في تضييد جراح الناس،
فاجعل خطوتي هذه بداية الطريق."
ومضى مسرعًا نحو سيارة أجرة، متحفزًا ليصل إلى السفارة،
وكأنه يعدّ الثواني حتى يقدم أوراقه من جديد.

أمام السفارة التركية في قبرص

وصل بكيل إلى مبنى السفارة التركية في قلب العاصمة القبرصية.
كان مبنى متوسط الحجم، أمامه صف طويل من الوافدين ينتظرون
ساعة فتح الشباك.
اقترب بخطوات مترددة، فإذا به يسمع أصواتًا بلهجة يمنية مألوفة.
اقترب أكثر، فإذا هم وفد من الشباب، وجوههم متعبة لكن أعينهم
تلمع بالأمل.
ألقي التحية:
" السلام عليكم يا إخوان... أنتم يمنيون؟"
التفتوا نحوه بفرح:
" وعلیکم السلام! نعم، ونحن بانتظار مثل هذا اللقاء. تعال معنا".
صافحوه واحدًا تلو الآخر، وتعرف على أسمائهم:

. **باسل** :شباب من تعز، نحيل الجسد، يحمل ملفًا سميًا من الأوراق، حلمه أن يكمل في الاقتصاد ليعود ويعيد بناء شركات والده التي انهارت.

. **معتصم** :شباب من صنعاء، مرح رغم المعاناة، يكرر " لن أستسلم، حتى لو عشت في ممرات المطارات".

. **محمد** :من إب، أكثر هدوءًا، يقول " أريد الطب... لا لوجهة، بل لأنني سئمت موت الناس بلا دواء".

ابتسم بكيل وهو يسمع أحلامهم، شعر أن روحه وجدت مرآة.
قال باسل:

" لقد حجزنا جميعًا في فندق قريب... الحقيقة ليس فندقًا بالمعنى، بل عمارة سكنية قديمة جعلت مأوى للطلبة. رسومها رمزية، تناسب حالنا".

تنفس بكيل الصعداء:

" الحمد لله... كنت أفكر أين أبيت الليلة. سأكون معكم إذن".
ضحك معتصم:

" أهلا بك يا بكيل. في الغربة... لا أحد غريب".

أثر داخلي

وقف بكيل في الطابور، يحسّ بحرارة الشمس على وجهه، لكنه لأول مرة منذ أسابيع شعر أن الانتظار ليس ثقیلاً.
"الآن... لم أعد وحيداً. هؤلاء إخوة في الطريق، وأحلامهم أحجار تضاف إلى جدار حلمي. ربما الغربة تصنع قوافل جديدة... قوافل قيم."

ليلة الترقب

بعد أن قدّم أوراقه في السفارة، عاد بكيل مع باسل وبكيل ومحمد إلى السكن المشترك. المبنى قديم، جدرانه مشققة، لكن ما إن وضع رأسه على الوسادة حتى شعر براحة لم يذقها منذ أسابيع. غلبه النوم حتى ساعة متأخرة من الليل، ثم استيقظ على أصوات رفاقه في الغرفة المجاورة، يتهايمسون. جلس، توضأ وصلى ما فاته من صلوات، ثم اقترب ليستمع:

باسل قال بحماس:

" الفوج الذي قدّم أوراقه الثلاثاء الماضي... استلموا التأشيرات الخميس. يعني نحن... بإذن الله بعد غد".

بكيل ضحك وقال:

" لكن كيف نعرف أصلاً أنهم قبلوا الأوراق؟ هل ننتظر أن ينادوا علينا بالاسم؟"

محمد أجابه بهدوء:

" لا، الأمر بسيط. تصل رسالة نصية إلى هاتفك... يخبرونك بالتوجه للسفارة لاستلام الجواز مع التأشيرة".

جلس بكيل في فراشه، وقلبه يخفق.

"رسالة نصية... مجرد رسالة صغيرة قد تغيّر كل شيء."

منذ تلك اللحظة، صار هاتفه كأنه قطعة من قلبه. يتفقد كل بضع دقائق، يتأكد من الشبكة، يعيد تشغيله أحياناً، يخشى أن تفوته الرسالة.

المفاجأة

استيقظ بكيل فجرًا، لم يكد ينهي دعاءه حتى اهتز هاتفه: رسالة نصية من السفارة التركية.

“الرجاء الحضور لاستلام جوازك.”

حدّق فيها متعجبًا:

“في هذا الوقت المبكر؟ قبل حتى أن تفتح أبوابها؟!”

لم يُرد أن يسبق رفاقه، فانتظر حتى التاسعة، ثم انطلقوا جميعًا معًا إلى السفارة. كان الهواء صباحيًا عليلًا، لكن قلوبهم ثقيلة بالترقب.

عند الشباك، كان محمد أول الداخلين. دقائق قليلة، خرج وهو يرفع جوازه عاليًا، وعلى وجهه ابتسامة عريضة. صاح:

“ الحمد لله! التأشيرة بيدي!”

صفق له باسل وبكيل. دخل باسل بعده، وما هي إلا لحظات حتى خرج فرحًا بدوره، يلوّح بجوازه.

ازداد نبض بكيل سرعة. “إذن... الدور لي.”

وقف أمام الموظفة بابتسامة مترددة، مد لها بطاقة اثبات هوية. قلبتها بعناية، ثم رفعت رأسها تناديه باسمه:

“ السيد بكيل؟”

“ نعم، أنا هو.”

أخذت تحدّق في شاشة أمامها، ثم قالت ببطء:

“ الغريب... أن جميع المتقدمين من فوجك هذا رُفضوا.

فسكتت

لكنك وحدك... مقبول.”

سكتت لحظة، ثم تناولت الختم، وضربته على جوازه بختم التأشيرة. في تلك اللحظة، شعر بكيل أن قلبه يضطرب كأنه يريد أن يخرج

من صدره.

“لماذا أنا وحدي؟ ما معنى أن أختار بين المرفوضين؟ أهذا امتحان جديد... أم هدية؟”

خرج من السفارة بخطوات متثاقلة، بينما رفاقه يلتفون حوله يسألونه:

“ماذا حدث؟”

رفع جوازه بيده المرتجفة، وقال بصوت مخنوق:

“تم قبولي... وحدي”.. وعيناه تذرفان من الدمع.

ساد صمت قصير، امتزجت فيه الدهشة بالفرح بالغيرة المكتومة.

أما بكيل، فقد رفع بصره إلى السماء، وهمس:

“يا رب... أي درب تُعده لي الآن؟”

الرسالة إلى جون

خرج بكيل من بوابة السفارة، جوازه في يده، والتأشيرة تلمع على صفحته. وقف للحظة يتأملها بعينين دامعتين، ثم مد يده إلى هاتفه وأرسل رسالة قصيرة إلى جون:

“جون العزيز... لقد مُنحتُ تأشيرة تركيا. كما قلت لي: الوفاء لا يضيع. سأراك قريباً في إسطنبول”.

تخيل ابتسامة جون وهو يقرأها، فأحس براحة عميقة.

مطار إسطنبول

في اليوم التالي كان بكيل يقف في طابور طويل في مطار إسطنبول. حقيبته الصغيرة ما زالت رفيقه الدائم، لكن هذه المرة

قلبه مختلف: لم يعد قلب لاجئ يبحث عن ملاذ، بل قلب طالب يدخل باب حلمه.

اقترب من شباك الجوازات. الموظف التركي تناول جوازه، تفحصه، ثم ابتسم قليلاً وهو يختم الصفحة بختم الدخول. صوت الختم ارتطم بأذن بكيل كأنه نغمة موسيقية طالما انتظرها. خطأ خطوة واحدة إلى الأمام، رفع رأسه، نظر إلى صالة الوصول المزدهمة وقال في نفسه:

“هنا... يبدأ الحلم الذي طال انتظاره. هنا ستولد قصة أخرى، لا مجرد لجوء... بل بناء.”

البناء المنتظر

مع أول سيارة أجرة تقله نحو جامعة إستانبول، اتجه على الفور لإدارة طلبة المنح الدراسية، استقبلته السكرتيرة بابتسامه طالبة منه البطاقة التعريفية مع الأوراق الثبوتية الخاصة بالقبول، فقدمها. عاينت السكرتيرة شاشة الحاسوب تتفقد بأناملها أسماء المقبولين، فظهرت على وجهها علامات الاستغراب!

حاولت مجدداً معاينة الأوراق، ثم بحثت مجدداً في الأسماء، لم تجد اسم بكيل!

رفعت سماعة الهاتف، واتصلت برقم داخلي. سمع بكيل حوار السكرتيرة مع الذي اتصلت به ولكنه كان باللغة التركية.

تعوذ من الشيطان في نفسه.

رجعت السكرتيرة مجدداً لقوائم الأسماء، ثم قالت: حسننا وجدته.

قالت: "وجدت الاسم، ولكن في قائمة المتخلفين لمدة طالت عن تسع أشهر، وعليه تم إلغاء منحتك الدراسية!"

تسمر بكيل إثر سماعه خبر إلغاء المنحة الدراسية، ولم يتمكن من تحريك ساقه.

قسم هندسة الاعضاء

قرر بكيل الا ينهزم وتوكل على الله وبنقة واستهدف قسم هندسة الاعضاء وطلب مقابلة رئيس القسم كممثل عن هيئة إغاثة دولية، فأذن له، دخل قاعة الاجتماعات الصغيرة في قسم هندسة الأعضاء بجامعة إسطنبول. كانت الجدران مزينة بصور لمشاريع طلابية: نماذج لأطراف صناعية، ذراع آلية مطبوعة ثلاثيًا، ورسوم بيانية تشرح آلية الحركة.

جلس أمام الطاولة الكبيرة، حقيته الصغيرة بجواره، وملاحه تجمع بين التوتر والإصرار. دخل د. توران، رجل خمسيني ذو نظرة ثابتة وابتسامة دافئة. مد يده لبكيل وقال بالإنجليزية:

" أهلاً بك يا... بكيل، صحيح؟"
ابتسم بكيل وأجاب:

" نعم، بكيل الحارثي من اليمن. أشكركم على منحكم وقتكم".
جلسا متقابلين، وبدأ بكيل حديثه: اعذرني ان تحدثت معك باللغة الانجليزية فأنا اعمل في منظمة اغاثية في افريقيا، عملتُ في السودان مع منظمة إغاثية، وخلال عام كامل تعاملت مع مئات من المعاقين الذين فقدوا أطرافهم بسبب الحرب أو المرض. ما لاحظته هو أن معظم الأطراف الصناعية التي تصلهم... معيبة. بعضها لا يثبت جيدًا، بعضها يجرح الجلد، وبعضها يُكسر بسرعة. النتيجة... أن المعاقين يفقدون الأمل من جديد".

أخرج من حقيبته دفترًا، فتحه وأراه ملاحظاته الميدانية: رسومات بسيطة لقياسات أطراف مبتورة، تعليقات على نقاط الضغط في الأطراف الصناعية المستعملة، وأسماء بعض المرضى الذين قصّوا له تجاربهم.

ثم قال وهو يرفع رأسه:

" أنا لست مهندسًا بعد، لكني أؤمن أن التجربة الميدانية هي أول خطوة في الطريق. لذلك جنّت أقول: إن أردتم، يمكنني أن أشارككم هذه الملاحظات، لعلها تفيد مشاريعكم".

تأمل د. توران الأوراق طويلاً، ثم قال:

" أعجبتني مبادرتكم، يا بكيل. ما تحمله ليس مجرد ملاحظات... بل هو قاعدة بيانات حيّة، نحتاجها في مختبرنا. صدقني، كثير من أبحاثنا تنقصها العينات الميدانية.

تنفس بكيل الصعداء، شعر وكأن ثقلًا كبيرًا أزيح عن قلبه.

ابتسم د. توران وأكمل:

" لنعد ترتيب الأمر. سنعقد جلسة مع طلاب الدراسات العليا الأسبوع القادم، لتعرض عليهم ما لديك. بعدها... نرى كيف ندمجكم معنا في مشاريعنا البحثية. ومن يدري... ربما تكون هذه فاتحة لمسار علمي جديد معكم".

خرج بكيل من اللقاء، هذه المرة ليس كطالب مرفوض، ولا كلاجئ يبحث عن صدقة، بل كصاحب قيمة حقيقية وجد من يعترف بها.

"يا رب... لم تغلق بابًا إلا لتفتح لي أوسع منه. ليس المهم أن أحمل ورقة منحة... بل أن أكون لبنة في بناء يعيد الأمل لمن فقدته."

مطعم باب اليمن

في مساء بارد من شتاء إسطنبول، كان بكيل يسير في شارع مضاء بالمصابيح الصفراء، يتأمل وجوه المارة وروائح الطعام التي تملأ المكان.

فجأة، استوقفته لافتة مضيئة فوق مطعم كتب عليها: "باب اليمن". توقف لحظة، شعر بشيء يهتز في قلبه.

"باب اليمن... كأنني أمام بوابة إلى صنعاء نفسها." دخل المطعم، فإذا بالنادل يرحب به بلهجة يمنية دافئة: "حيّاك الله يا أخي! من اليمن أنت؟"

التفت، فإذا بالكاشير أيضاً يمّني، والزبائن يتحدثون بلهجات مألوفة: تعز، إب، حضرموت، صنعاء. الطاولات مليئة بالوجوه التي تشبه أهله. شعر أن صدره انشرح فجأة، كأن الغربة انكسرت. جلس على طاولة فيها ثلاثة شباب، وكان بينهم شاب أسمر، نحيل، عيناه لامعتان بالذكاء. ابتسم وقال له:

"أنا مبروك مسعود، طالب ماجستير هنا في جامعة إسطنبول. أدرس هندسة ميكانيكا، وتخصصي الدقيق في المواد المركبة وتطويرها." (Composite Materials)

صافحه بكيل بحماس:

"وأنا بكيل الحارثي... وصلت للتو تقريباً. كنت أحلم أن ألتحق ببرنامج هندسة الأعضاء."

ضحك مبروك وقال:

"إذن نحن قريبان. المواد المركبة التي أعمل عليها تُستخدم اليوم في صناعة الأطراف الصناعية. من يدري... قد نتعاون يوماً."

دار بينهما حديث طويل عن الغربة، عن الدراسة، وعن الحلم الذي يجمعهما: كيف يمكن للهندسة أن تجبر كسر الناس. ومع كل كلمة، شعر بكيل أنه يقترب من روح مألوفة.

في نهاية الجلسة، قال مبروك وهو يرتشف آخر رشفة من الشاي: "أتعرف؟ أنا أعيش وحدي في شقة صغيرة. الإيجار مرهق. لو رغبت أن تسكن معي، نقسم الإيجار ونقسم الخبز. وجودك سيكون نعمة".

لم يتردد بكيل لحظة، وقال بابتسامة عريضة: "أقبل فورًا. بعد كل هذا التيه... لا أريد أن أضيع فرصة بيت وصحة".

صافحه مبروك بحرارة: "إذن اتفقنا. من اليوم... أنت لست وحدك". خرج بكيل من المطعم وقلبه ممتلئ، يردد في نفسه: "سبحان الله... باب اليمن كان بوابتي إلى بيت جديد في إسطنبول".

شقة مبروك

في صباح اليوم التالي، حمل بكيل حقيبته الصغيرة، واتجه مع مبروك نحو شقة تقع في حي طلابي قريب من الجامعة. العمارة متواضعة، لكن هادئة، تطل على زقاق ضيق تتناثر فيه دكاكين الخبز والخضار.

فتح مبروك الباب، فإذا بالشقة من الداخل مرتبة بعناية: غرفة جلوس صغيرة فيها رفوف محشوة بكتب بالإنجليزية والتركية، وعلى الطاولة حاسوب محمول تحيط به دفاتر ورسومات هندسية، وبعض القطع المعدنية الصغيرة.

قال مبروك وهو يضحك: "هذا مختبري الصغير... أحيانًا أجرب أفكارًا عن المواد المركبة

هنا قبل أن أعرضها في الجامعة. ربما ترى بعض الشرر من أدوات اللحام فلا تخف!"

ابتسم بكيل وهو يتفحص المكان:

" بل أشعر أنني دخلت ورشة علمية. سبحان الله... كل ما أراه يقربني من حلمي في هندسة الأعضاء."

جلسا معًا، وأعد مبروك كوبين من الشاي اليمني الثقيل. قال وهو يناول بكيل الكوب:

" أتعلم يا بكيل... منذ جئت إلى هنا، تعلمت أن الغربية ليست فراغًا نملؤه بالحنين فقط. بل هي فرصة: إما أن تضيقنا أو تبيننا. وأنا أرى فيك شخصًا جاء ليبنى لا ليضيع."

شرب بكيل رشفة، وأجاب بتأمل:

" في السودان، رأيت مئات المعاقين يفقدون الأمل لأن الأطراف التي وصلت إليهم لم تكن صالحة. هناك أدركت أن العلم بلا قيم قد يصنع قطعة معدنية، لكنه لا يصنع حياة. أما إذا امتزج العلم بالقيم، فإنه يجبر كسر الإنسان نفسه."

ظل مبروك صامتًا لحظة، ثم قال بنبرة جادة:

" إذن... لن نكون مجرد ساكنين في بيت واحد. نحن شريكان في رؤية: أن نصنع علمًا له قلب."

ابتسم بكيل، شعر لأول مرة منذ مغادرته اليمن أن الغربية لم تعد غربة.

"بيت مبروك... قد يكون بداية بيت أكبر: بيت للعلم والقيم معًا."

اتفاق الشراكة

في ليلة هادئة، جلس بكيل ومبروك في غرفة الجلوس، الأوراق متناثرة على الطاولة، بينهما أكواب شاي ساخن.

قال بكيل وهو يقلب في دفتره المهترئ:
"مبروك... في الأسبوع القادم عندي موعد مع د. توران،
وسأعرض تجربتي الميدانية مع المعاقين في السودان. فكرت أن
أضيف بعض ما نتوصل إليه معًا من تجارب حول المواد المركبة.
فما رأيك؟"

ابتسم مبروك، وأسند ظهره إلى الكرسي:
"أنا موافق. بالعكس، هذا أفضل. خبرتك الميدانية تعطي لأبحاثي
روحًا حقيقية، وتجعلها مرتبطة بالناس لا بالمختبرات فقط".

تردد بكيل لحظة وقال:
"لكن... لست أريد أن أقحمك فيما قد يخص قسمك وحدك".

ضحك مبروك، وأجاب بثقة:

"لا تقلق يا صديقي. نحن في قسمين مختلفين أصلاً: أنا في
الميكانيكا وتطوير المواد، وأنت تستهدف هندسة الأعضاء. إذا
ذكرنا اسمينا معًا في أي ورقة أو عرض... فهذا شرف لي، لأن
الحقيقة أننا نتشارك بالفعل".

سكت بكيل، شعر بدفع داخلي لم يعرفه منذ زمن. ثم قال ببطء:
"إذن... فلنكتب معًا. نذكر اسمينا حيثما وردت النتائج. وليكن
مشروعنا شاهدًا على أن الغربية لا تفرق بين أبناء الوطن... بل
تجمعهم".

مد مبروك يده بابتسامة وقال:

"على بركة الله. شراكة العلم والقيم".

صافحه بكيل بقوة، وكان قلبه يقول:

"بدأت الطريق وحيدًا، وها أنا أجد من يشد عضدي. لم يعد العلم
عندي ورقة منحة فقط... بل صحبة صالحة، وقيمة نزرعها في
أرض جديدة."

التحضير للعرض

مرّت الأسابيع ثقيلة على بكيل، لكن قلبه كان ممتلئاً بالعزم. في كل مساء، كان يجلس مع مبروك في شقتيها الصغيرة، الطاولة مغطاة بالأوراق، والدفاتر، ورسومات الأطراف الصناعية. فتح بكيل ملفه، وبدأ يرسم هيكل العرض الذي سيقدمه بعد شهرين أمام د. توران وطلاب الدراسات العليا:

1. الأرقام الميدانية

- عرض إحصائيات دقيقة من السودان واليمن حول عدد المصابين بالبتر نتيجة الحرب والأمراض.
- إرفاق شهادات مباشرة ممن استخدموا أطرافاً صناعية رديئة وفشلوا في الاعتماد عليها.

2. نقاط الضعف الأساسية في الأطراف الصناعية الحالية:

المواد المصنّعة:

معظم الأطراف مصنوعة من معادن ثقيلة أو بلاستيك ضعيف.

الحل: إدخال المواد المركبة (Composite Materials)

لتكون أكثر خفة ومتانة. وهنا يدمج نتائج بحوث مبروك كمثال عملي.

الحركة الديناميكية:

ضعف في مرونة المفاصل الصناعية وعدم توافقها مع الحركة الطبيعية للجسد.

الحل: تطوير آلية حركة ديناميكية تعتمد على تصميم مستوحى من حركة العضلات والأوتار.

الكلفة الباهظة:

الأطراف المستوردة تكلف آلاف الدولارات، ما يحرم معظم

المحتاجين منها.

الحل: استخدام تقنيات الطباعة ثلاثية الأبعاد لتصنيع أجزاء أساسية بتكلفة منخفضة.

الذكاء الاصطناعي:

الأطراف الحالية لا تتكيف مع احتياجات المستخدم.

الحل: دمج وحدات ذكية تلتقط إشارات من العضلات أو الحركة العصبية، وتقرح الإعداد الأنسب حسب حالة المعاق.

البعد القيمي

كلما تقدم بكيل في تحضيره، كان يردد لنفسه:
"العلم لا يكفي إن لم يُهندس على قيم. المعاق لا يريد ذراعًا معدنية
فحسب... بل يريد أن يُستعاد كإنسان له كرامة، له حق في حياة
طبيعية."

وكان مبروك يعلّق بحماس:

"صدقني يا بكيل... عرضك لن يكون مجرد بحث. سيكون
صرخة إنسانية داخل قاعة علمية".

ابتسم بكيل، وأجاب وهو يغلق دفتره في آخر ليلة قبل الموعد:
"إذن... فلنجعل من الشهرين مدرسة. وحين أقف أمامهم، لن أكون
طالبًا بلا منحة... بل شاهداً على ما يمكن للقيم والعلم أن يصنعا
معاً".

ليلة العرض

في الليلة السابقة للموعد المنتظر، جلس بكيل على مكتبه الصغير في غرفة السكن. أمامه الحاسوب مفتوح على الشرائح التي أعدها بعناية، والأوراق المبعثرة تحيط به كأنها تروي حكاية رحلته. كان قلبه يخفق بسرعة، وكأنه على موعد مع امتحان العمر. أغلق الشاشة، ونهض ليتوضأ، ثم صلى ركعتين طويلتين، جعل دعاءه فيهما بسيطاً:

“اللهم لا تجعلني أطلب العلم لمكانة، بل لخدمة عبادك المكسورين. اللهم اجعل ما أقدمه غداً صدقة جارية في ميزاني.”
بعد الصلاة، جلس قرب النافذة. كانت أضواء إسطنبول تلمع من بعيد، وصوت الأذان يتردد من مسجد قريب. شعر أن المدينة، رغم غربتها، بدأت تمنحه شيئاً من الألفة.
دخل مبروك يحمل كوبين من الشاي، ابتسم وقال:
" أراك شارداً يا بكيل."

أجابه وهو يتنهد:
" غداً هو الامتحان الحقيقي. ليس امتحان قبول في الجامعة فقط... بل امتحان لصدقي مع نفسي."
جلس مبروك بجانبه، ووضع يده على كتفه:
" أنت تملك ما لا يملكه كثير من طلاب الدراسات العليا هنا. لديك الميدان... والناس... والقصص الحية. غداً، حين تعرض ما رأيت، لن يتعاملوا معك كطالب جاء يطلب مقعداً، بل كرسول جاء يحمل رسالة".

ابتسم بكيل ابتسامة صغيرة، وقال:
" إذن فلنسهما ليلة الرسالة."
شربا الشاي معاً بصمت، وكل واحد منهما يفكر أن الغد سيغير شيئاً في حياة بكيل، وربما في حياة آخرين لم يروهم بعد.

قبل يومين من اللقاء

في صباح باكر، وبينما بكيل يراجع شرائحه للعرض المرتقب مع د. توران، اهتز هاتفه. فتحه ليجد رسالة من جون: "بكيل، مبروك! فرع منظمنا في إسطنبول تم اعتماده رسميًا. نحتاجك للالتحاق بالفريق فورًا. وجودك سيصنع فرقًا كبيرًا". توقف قلب بكيل للحظة، شعر أن القدر يعيد اختبار إخلاصه مرة أخرى.

تمتم: "سبحان الله... قبل يومين فقط من اللقاء مع د. توران". قرر أن يلبي الدعوة. توجه إلى مقر الفرع الجديد، وهو شقة إدارية في إحدى العمارات القريبة من منطقة الفاتح. استقبله مدير الفرع بابتسامة واسعة، وعانقه بحرارة:

"أهلاً بك يا بكيل! لقد سمعت عنك من جون. وجودك معنا ثروة كبيرة، خاصة وأنت عشت في السودان، واعتدت على تفاصيل العمل الميداني".

جلسا معًا، وسرعان ما بدأ بكيل يعرف بنفسه، لكنه لم يخف عنه همّه الأكبر:

"أنا ممتن لكم، وسعيد بالثقة. لكن أريد أن أكون صريحًا: بعد يومين عندي موعد في جامعة إسطنبول مع د. توران، رئيس قسم هندسة الأعضاء. سأعرض عليه تجربتي الميدانية، وهناك أفق للتعاون الأكاديمي في تطوير الأطراف الصناعية. حلمي أن نصل لجسر بين ما نراه في الميدان وما يبتكره العلماء".

أشرق وجه مدير الفرع، وقال بحماس: "هذا رائع يا بكيل! بالعكس، نحن بحاجة لمثللك بالضبط. إن نجحت في ربط جهودنا بما يخرج من الجامعة، سنكون أول منظمة إنسانية تدخل عالم البحث العلمي التطبيقي. اجعل عرضك مدخلًا لذلك".

شعر بكيّل أن الله جمع له الخيطين :العمل الإغاثي والمسار العلمي.

خرج من المقر وهو يردد في نفسه:
“يا رب... لم تُغلق بابًا إلا وفتحت اثنين. اجعلني أمينًا في حمل
الرسالتين معًا.”

جلسة العرض

قاعة متوسطة الحجم في جامعة إسطنبول، جدرانها بيضاء مزدانة
بلوحات لمشاريع طلابية: هياكل عظمية مطبوعة ثلاثيًا، نماذج
أولية لذراع آلي، وصور من مؤتمرات سابقة.
جلس عشرات من طلاب الدراسات العليا على المقاعد، أوراقهم
وأقلامهم جاهزة، والهمس يملأ المكان.

دخل د. توران بخطوات واثقة، خلفه ممثل من فرع الإغاثة الجديد
التابع لجون، جلس في الصف الأول كضيف خاص. التفت الدكتور
إلى بكيّل وأشار إليه:

" تفضل يا بكيّل، استعرض ما لديك".

وقف بكيّل أمام شاشة العرض، قلبه يخفق لكن عينيه ثابتتان. بدأ
بصوت هادئ، ثم أخذ يعلو مع الحماس:

" اسمي بكيّل الحارثي، من اليمن. قضيت عامًا في السودان أعمل
مع منظمة إغاثية. تعاملت مع مئات المعاقين الذين فقدوا
أطرافهم... ورأيت بعيني كيف تتحول الأطراف الصناعية من أمل
إلى خيبة بسبب عيوب أساسية".

ضغط زر العرض، فظهرت على الشاشة صور وإحصائيات:
٧٠٪ من المستخدمين توقفوا عن استعمال أطرافهم بسبب الألم
أو الثقل.

٤٠٪ منهم كسر طرفه الصناعي في أقل من ستة أشهر.

ثم بدأ يعرض نقاط الضعف الأربعة:

1. المواد المصنّعة:

" المعادن ثقيلة... البلاستيك هش. نحتاج إلى مواد مركبة (Composite Materials) أكثر خفة ومتانة".

التفت نحو مبروك الجالس وقال: "زميلي مبروك يعمل على أبحاث في هذا المجال".

2. الحركة الديناميكية:

عرض فيديو قصير لمريض يعجز عن ثني الركبة الصناعية.

" الحل: تصميم يحاكي حركة العضلات والأوتار، بدلاً من ميكانيك جاف".

3. الكلفة الباهظة:

" الأطراف المستوردة تكلف آلاف الدولارات. الحل: الطباعة ثلاثية الأبعاد لتخفيض التكلفة وجعلها في متناول الجميع".

4. الذكاء الاصطناعي:

" التقنيات الحديثة قادرة على قراءة إشارات العضلات أو النشاط العصبي، وتكييف الطرف الصناعي مع احتياج الفرد".

أنهى عرضه بجملة مؤثرة:

" المعاق لا يريد قطعة معدنية... بل يريد أن يُستعاد كإنسان له كرامة. إذا جمعنا العلم بالقيم، فسنمنحه ذلك".

ساد الصمت لحظة، ثم دوى التصفيق في القاعة.

ردود الأفعال

د. توران رفع نظارته وقال:

"بكيل... ما قدمته ليس عرضًا عاديًا، بل خريطة طريق. سنبحث كيف ندمجك في أحد مشاريعنا فورًا".

ممثّل فرع الإغاثة التفت إليه قائلاً:

"ما تم عرضه يوازي سنوات من التجارب الميدانية. منظمّتنا مستعدة لتكون حلقة وصل بين مختبركم والواقع في الميدان".

بعض الطلاب نظروا بدهشة، أحدهم همس:

"من هذا الشاب؟ ليس عنده شهادة بعد... لكنه يتكلم كأنه يحمل عشر سنوات خبرة!"

خرج بكيل من القاعة، وعيناه تلمعان بدموع لم يمنعها. شعر أن اللحظة كانت أكبر من مجرد قبول أكاديمي. "يا رب... الآن أرى المعنى. أنت لم تكتب لي المنحة من البداية، بل كتبت لي أن أكون جسرًا... جسرًا بين المعمل والميدان."

توقيع التعاون

بعد يومين من العرض، اجتمع د. توران في مكتبه الكبير بالقسم، يجلس إلى جانبه ممثل فرع الإغاثة الجديد. جلس بكيل ومبروك أمامهما، يحملان ملامح الترقب.

قال د. توران وهو يقلب أوراق العرض التي أعدها بكيل: "لقد ناقشنا في مجلس القسم ما قدمته يا بكيل. نحن بحاجة ماسة لهذه البيانات الميدانية. ومن جانبكم، أنتم في الإغاثة بحاجة إلى حلول عملية سريعة. إذن... التعاون ليس خيارًا، بل ضرورة". ابتسم ممثل المنظمة وقال:

"بالضبط. هدفنا أن نمنح الأمل لمن فقدوا أطرافهم. إذا تلاقى جهودنا، سيكون لذلك أثر واسع، يتجاوز السودان واليمن إلى سوريا، وغزة، وكل مناطق النزاع".

تقدم د. توران بمقترح: "فلنوقع بروتوكول تعاون: الجامعة تقدم الدعم الأكاديمي والبحثي، والمنظمة تقدم البيانات الميدانية والتمويل الجزئي للتجارب". نظر إلى بكيل مباشرة:

"ونريدك أنت أن تكون المنسق بين الطرفين. بحكم خبرتك الميدانية، وفهمك لطبيعة عملنا هنا".

ارتبك بكيل للحظة، قلبه يخفق بشدة. ثم قال بصوت متهدج: "أعدكم أن أبذل كل ما أملك، ما دام الهدف أن نرد للناس كرامتهم". مدّ الجميع أيديهم لتوقيع الاتفاق الأولي. ابتسم مبروك وقال مازحًا: "وهكذا أصبح صديقنا بكيل بين المطرقة والسندان: بين قاعة البحث وميدان الإغاثة!"

ضحكوا جميعًا، لكن بكيل تمتع في نفسه:
“لا مطرقة ولا سندان... بل جناحان. العلم جناح، والإغاثة جناح،
وأنا مجرد جسد يسعى أن يطير بهما إلى من يحتاج.”

ورشة الطباعة ثلاثية الأبعاد

داخل إحدى قاعات الجامعة المجهزة بأحدث آلات الطباعة ثلاثية الأبعاد، ارتصّت الطابعات في صفوف أنيقة، يصدر عنها ضوء أزرق وصوت رتيب وهي تبني شيئًا فشيئًا قطعًا بلاستيكية دقيقة. كان بكيل واقفًا بجوار د. توران ومبروك، وحوله مجموعة من طلاب الدراسات العليا الذين تجمّعوا للاستماع.

رفع د. توران قطعة مطبوعة حديثًا وقال:
" هذه هي الخطوة الأولى. بفضل بيانات بكيل الميدانية، أصبحنا نعرف مواطن الضعف الحقيقية في الأطراف الصناعية. وبفضل أبحاث مبروك في المواد المركبة، يمكننا اختبار بدائل أكثر قوة وخفة".

أشار بيده إلى بكيل:

" الآن، سيقود بكيل الفريق في شرح الجانب التطبيقي".
تقدم بكيل بثقة، حمل قطعة ذراع مطبوعة، وبدأ يشرح:
" لاحظوا هنا... في النماذج التقليدية، يكون موضع الضغط على الجلد في هذه النقطة. وهو ما سبب التقرحات لمئات من المعاقين في السودان واليمن. نحن أعدنا التصميم بحيث يُوزَّع الضغط على مساحة أوسع، ما يقلل الألم".

أخرج ورقة فيها بيانات وأرقام:

" بهذه التقنية، يمكننا أن نخفض الكلفة بنسبة ٦٠٪ على الأقل. وإذا

دمجنا المادة المركبة التي يعمل عليها مبروك، سنحصل على طرف خفيف الوزن لا يتجاوز نصف الكيلو".
ساد الصمت، ثم دوى تصفيق من الطلاب. اقترب أحدهم وقال:
"يا بكيل... حديثك يجعلنا نشعر أن ما نعمل عليه ليس مجرد مشروع دراسي، بل حياة كاملة تُبنى".
ابتسم د. توران وهو يضع يده على كتف بكيل:
"لهذا قلت لكم: أحياناً يأتي من خارج القاعة من يذكّرنا لماذا بدأنا هذا العلم أصلاً".

في زاوية الورشة، وقف بكيل يراقب الطابعة وهي تُخرج قطعة جديدة. في داخله كان يردد:
"اللهم اجعل كل جزء يخرج من هذه الآلة رحمة لروح مكسورة.
العلم بلا رحمة آلة صماء... لكن حين يُسند إلى قيمك يا رب،
يصبح باب حياة".

مقترح المصنع

في قاعة صغيرة بالجامعة، اجتمع د. توران، وجون القادم من فرع الإغاثة، ومبروك الذي حمل معه أوراقاً ورسومات هندسية، بينما جلس بكيل أمامهم يعرض على شاشة حاسوبه نتائج الأشهر الماضية.

قال بكيل بصوت ثابت:
"لقد نجحت الورش التي بدأناها. لكنني تعلمت من تجربتي في السودان أن النجاح الميداني لا يُبنى على ورش فقط.
الناس هناك يحتاجون إلى استمرارية، إلى إنتاج منظم.

لهذا، أقترح أن نحول الورش إلى مصنع للأطراف الصناعية، بخط إنتاج يعتمد على المواد المركبة والطباعة ثلاثية الأبعاد".
ضغط زراً على جهاز العرض، فظهرت شرائح تحمل أرقاماً:
. عدد المستفيدين المتوقع سنوياً: ٣ آلاف شخص في السنة الأولى.

. التكلفة الحالية للطرف الواحد: ١٢٠٠ دولار.

. التكلفة بعد إنشاء المصنع: ٣٥٠ دولار فقط.

. نسبة التوفير: أكثر من ٧٠٪.

ثم أضاف:

" أعددت دراسة جدوى أولية مستندة إلى ما رأيته من اعتمادات المنظمات الإنسانية في السودان. إذا حصلنا على دعم مبدئي بقيمة نصف مليون دولار، يمكننا تدشين خط إنتاج يغطي تركيا ويمتد إلى اليمن والسودان وسوريا".
تبادل الحضور النظرات.

قال جون وهو يطرق بأصابعه على الطاولة:
" الأرقام قوية. منظمنا يمكن أن تغطي جزءاً من التمويل، لكننا بحاجة لشركاء آخرين، وربما شركات تركية ترغب في الدخول عبر المسؤولية المجتمعية".

ابتسم مبروك وأشار إلى ملف بين يديه:
" وأنا أعددت رسومات أولية لمصنع صغير الحجم، قابل للتوسع. ما ينقصنا هو التمويل، وبناء شراكة ذكية".

رفع د. توران نظره إلى بكيل وقال بلهجة جدية:
" فكرتك ليست مجرد مشروع بحثي، إنها نقلة نوعية. سأرفع المقترح إلى إدارة الجامعة لتكون شريكاً أكاديمياً. لكن... يجب أن نكون مستعدين لمواجهة التحديات البيروقراطية والمالية".

حين خرجوا من الاجتماع، وقف بكيل أمام بوابة الجامعة، والنسيم البارد يضرب وجهه.
“يا رب شاكرا لأنعمك... بدأت بقارب بلا وجهة، ثم بخيمة إغاثة، ثم بورشة. والآن... أطرق باب مصنع.”

البحث عن الممولين

خلال الأسابيع التالية، حمل بكيل حقيبته الصغيرة وبدأ جولاته في إسطنبول. لم يعد يبحث عن سكن أو منحة، بل عن شركاء يمولون الحلم.

المحطة الأولى شركة أدوية كبرى

دخل مع مبروك إلى مقر فخم، عرضا الدراسة على مجلس إدارتها.

قال أحد المسؤولين ببرود:

" الفكرة رائعة... لكننا لا نمول مشاريع إنسانية إلا إذا كان لها مردود ربحي واضح".

ابتسم بكيل بهدوء:

" نحن نتحدث عن أرواح تُستعاد. الربح الحقيقي هنا... إنساني".
لكنهم اكتفوا بالاعتذار.

المحطة الثانية رجل أعمال يمني في إسطنبول

جلس بكيل أمام مكتب فخم، شرح له المشروع بحماس.
أجابه الرجل وهو يعدل مسبحته:

" أنا لا أثق في هذه المبادرات. كثيرون قبلك طلبوا الدعم وضاعت أموالهم. ما الضمان أنك لن تفشل؟"
رفع بكيل رأسه وقال بثبات:

"الضمان الوحيد... هو أننا لا نعمل لمصلحتنا، بل لجرحى الحروب وأطفال بلا أطراف. والنية الصادقة وحدها لا تفشل".
ابتسم الرجل، لكنه بقي متحفظاً.

المحطة الثالثة شركة تركية صغيرة في الصناعات المعدنية

كان اللقاء أكثر ودياً. بعد العرض، قال المدير:
في صباح اليوم التالي، جلس بكيل في مكتب بسيط لإحدى الشركات التركية الصغيرة. أمامه رجل خمسيني، مدير الشركة، يقلب أوراق دراسة الجدوى.

قال الرجل بلهجة مترددة:

"يا بني... مشروعكم نبيل، لكننا شركة محدودة. لا نملك القدرة على المغامرة بأموالنا. التمويل هنا... مخاطرة كبيرة".
ابتسم بكيل ابتسامة هادئة، وضع يديه على الطاولة، وأجاب في نفسه:

"رأيت بعيني كيف يبرر الناس أفعالهم في الأزمات: منهم من يسرق بدعوى الجوع، ومن يبالغ بالأسعار بدعوى التجارة. لكن الحقيقة أن الأزمات ليست مبرراً للتخلي... بل فرصة لتثبيت القيم".

سكت لحظة، ثم قال:

"استثماركم هنا ليس مغامرة... إنه بناء. أنتم لن تمولوا مصنعاً فقط، بل ستعيدون كرامة لآلاف المعاقين. والأرقام أمامكم: ٧٠٪ من التكلفة الحالية يمكن تخفيضها. أنتم تربحون سمعة إنسانية، وتفتحون باباً لسوق لا ينضب".

تغيرت ملامح المدير، وضع أوراقه على الطاولة، وقال:

"حديثك مختلف يا بكيل.... كأنك ترى ما وراء الأرقام".

ابتسم بكيل بهدوء:
"لأنني تعلمت أن الأرقام بلا قيم تتحول إلى حجارة. لكن إذا صُبغت بالرحمة... تصبح جسورًا".
أطرق الرجل قليلاً، ثم رفع رأسه وقال:
"لا أستطيع تمويل المصنع كاملاً... لكن سأكون أول من يضع لبنة فيه. اعتبروا شركتنا شريكاً مبدئياً".
خرج بكيل من المكتب، قلبه يلهمج بحمد الله. أدرك أن ما استوعبه على جسر البوسفور البارحة لم يكن مجرد خواطر، بل منهج عملي: التناقضات لا تحل بالنقد ولا بالهروب... بل بالقدرة على إعادة توجيهها نحو القيم.
ومع نهاية يوم طويل، جلس بكيل مع مبروك في مقهى شعبي في حي الفاتح، أكواب الشاي على الطاولة.
قال مبروك وهو يزفر:
"يا صديقي... لا أحد يرى الصورة مثلك. تعبنا ونحن نطرق الأبواب".
ابتسم بكيل، وعينه تلمعان بإصرار:
"هكذا هي الحياة يا مبروك. الأبواب لا تُفتح كلها دفعة واحدة. نحن نزرع... وربنا هو الذي يُنبت".
رفع نظره إلى السماء، وأكمل في نفسه:
"يا رب... لا تجعلنا نطلب المال لنفخر، بل لننقذ. واهد من يسمعنا ليرى ما نراه".

تناقضات على جسر البوسفور

كانت ليلة إسطنبول باردة، والمدينة تتلألأ بأنوارها الممتدة على ضفتي البوسفور. عبر بكيل الجسر ماشياً، حقيبته الصغيرة تتأرجح على كتفه، وأفكاره أثقل من خطواته. كلما خطا، داهمته صور لم يتوقع أن تعود بهذه القوة. **الموج المتلاطم تحت الجسر** حمله إلى قارب جيوتي: الرجال يضحكون ضحكاً هستيرياً يخفي خوفهم، امرأة تحتضن طفلها وتردد آيات الحفظ بصوت مرتجف، وطفل آخر يمد يده إلى السماء كأنه يريد أن يمسك الغيوم. "أكان خوفاً أم إيماناً؟ أم كلاهما معاً؟"

لوحة إعلانية مضاءة لسيارة فاخرة على جانب الطريق أعادت له مشهد التاجر السوداني: يجلس في مطعم فاخر مع أسرته، بينما يبيع للمعاقين أطرافاً صناعية رديئة بأضعاف ثمنها. "هل كان يستغل حاجتهم... أم كان يرى نفسه مجرد تاجر؟"

طفل يبيع المناديل الورقية على الرصيف ذكره بأولئك الشباب عند ميناء بورسودان: يمدون أيديهم إلى شحنات القمح ويقولون: "الجوع لا يعرف حلاً أو حراماً". "هل كانوا جوعاً بحق... أم برروا لأنفسهم ما لا يُبرّر؟" توقف بكيل، وضع يده على سور الجسر البارد، وأغمض عينيه. **التناقضات** تتقاذز أمامه كظلال متصارعة: الإيمان والخوف، الرحمة والاستغلال، الجوع والتبرير.

"كنت أحتار... هل أرفضهم تمامًا أم ألتمس لهم عذرًا؟ الآن أفهم... الأزمة تكشف ضعف الناس، لكنها أيضًا تكشف فرص القوة. من يسرق ليعيش قد يبرره الجوع، لكن قيم العدالة تطلب أن نوجد نظامًا لا يضطر فيه إلى السرقة".

ولكن المفارقة كأداة لغوية تكشف المعنى بالنقيض. تتمم: "نعم... المفارقة ليست خطأ، بل وسيلة. تمامًا كما أن تناقضات الحياة ليست عبثًا، بل إشارات. الجوع مقابل التخمّة، الاستغلال مقابل الرحمة... كلها أزواج بلاغية تذكّرني أن القيم تُعرف بأضدادها".

أمسك بدفتره وكتب:

"كل تناقض واجهته هو درس: إما أن أجد له تعليلًا من قيم العدل والإحسان، أو أن أردّه إلى خلل في النظام البشري. لا تناقض في القيم الإلهية... التناقض في تطبيق البشر لها." ثم تذكر مسار "عدوى القيم"، مستذكرًا انتقال القيم بالعدوى السلوكية. قال لنفسه:

"حتى جون... لم يكن بحاجة إلى محاضرة، بل إلى موقف. رأى صدق الخدمة، فأصيب بعدواها. هكذا تنتقل القيم: لا بالشعارات، بل بالممارسة".

أسند رأسه إلى الجدار، وصوت داخلي يهمس:

"يا رب... اجعل كل تناقض مررتُ به لبنة في بناء فكري وقلبي. علّمني أن أرى في فوضى البشر حكمتك، وفي ضيق الدنيا فسحة قيمك".

"نعم... الأزمة ليست عذرًا للفوضى، بل فرصة للارتقاء. الجوع قد يبرر لحظة، لكنه لا يصنع مجتمعًا. التاجر قد يربح مالا، لكنه يخسر إنسانيته. والخوف قد يهز القلب... لكنه قد يوقظه للإيمان".

فتح دفتر ملاحظاته، كتب بخط متوتر:
"منهج التناقضات: كل مشهد عشته هو طبقة في برمجة جديدة
لقلبي. لا أرفض الناس لضعفهم، ولا أبرر أخطاءهم بلا قيد. بل
أضعها في ميزان القيم: ما انسجم مع العدل والرحمة، قبلته. وما
خالفهما، رفضته."

الاجتماع الموسع

قاعة اجتماعات صغيرة في الطابق الثالث من مبنى الجامعة.
الطاولة مستطيلة، فوقها ملفات ودراسات، وأكواب قهوة تتصاعد
منها أبخرة خفيفة. جلس حولها:

د. توران :بثوبه الأكاديمي، أوراقه مرتبة أمامه.

جون :بابتسامته الهادئة، يحمل دفترًا مليئًا بالملاحظات.

ممثل الشركة التركية :ببدلته الرمادية، ينظر بترقب.

مبروك :يحمل ملفات تقنية ورسومات هندسية.

بكيل :يتوسط الجلسة، عيناه تلمعان بالحماس والرغبة.

بدأ د. توران قائلاً:

"اجتمعنا اليوم لنضع أول خريطة طريق لمصنع الأطراف
الصناعية. بكيل ومبروك قدما نموذجًا أوليًا في الورشة أثبت
نجاحه. ما نحتاجه الآن هو خطة واقعية للتنفيذ."

أخذ جون الكلمة:

"منظمتنا ستساهم بالتمويل المبدئي، لكننا نريد أن نتأكد من وجود
شركاء محليين لضمان الاستمرارية. هنا يأتي دور شركتنا
التركية".

تدخل ممثل الشركة وهو يزيح نظارته:
" لقد اطلعت على دراسة الجدوى التي أعدها بكيل. الأرقام مغرية،
لكن علينا أن نبدأ بخط إنتاج محدود، كي نقيس رد الفعل في
السوق".

رفع مبروك لوحة هندسية، وقال:
" يمكننا البدء بمصنع صغير الحجم في ضواحي إسطنبول، بمساحة
لا تتجاوز ألف متر مربع، مع إمكانية التوسع. الإنتاج المبدئي:
٥٠٠ طرف صناعي في السنة الأولى".

هنا نظر الجميع إلى بكيل، وكأنهم ينتظرون الكلمة الفاصلة.
أخذ نفساً عميقاً، وقال:

" أصدقائي، ما نخطط له ليس مجرد مصنع. نحن نعيد بناء حياة.
لذلك أقترح أن نجعل للمصنع جناحاً خاصاً بالتطوير والأبحاث،
كي لا ننتج فقط... بل نبتكر باستمرار".

ساد الصمت لثوانٍ، ثم قال د. توران وهو يبتسم:

" أحسنت يا بكيل. هذه هي الرؤية التي نحتاجها".

مد الجميع أيديهم فوق الطاولة، كأنها لحظة تعاهد.

قال جون:

" فلنعتبر هذا اليوم بداية مصنع لا ينتج أطرافاً صناعية فقط... بل
يزرع قيمة في كل قطعة تُصنع".

البذرة التي تنمو بصمت

في قاعة صغيرة تابعة لإحدى الجمعيات في إسطنبول، تراصّت
صناديق بيضاء تحمل شعار الجامعة ومنظمة الإغاثة. لم يكن هناك
ضوء للكاميرات، ولا ميكروفونات للإعلام... فقط وجوه متلهفة،
عيونها معلقة بما تحمله الصناديق.

وقف بكيل بجوار د. توران ومبروك، يشرح للمستفيدين طريقة تركيب الأطراف.

قال بصوت مفعم بالثقة:

"اليوم لا نعدكم بحلم بعيد... بل بخطوة تبدأ الآن. هذه الأطراف جُربت في الورش، واليوم بين أيديكم".

تقدمت سيدة خمسينية، يدها اليمنى مبتورة منذ سنوات. ساعدها مبروك على تركيب طرف صناعي جديد.

رفعت يدها المرتجفة، وأمسكت بكوب ماء. دمعت عيناها وهي تقول بصوت مبحوح:

"سبحان الله... لم أتخيل أن أمسك كأساً وحدي مرة أخرى".

طفل في العاشرة من عمره، ساقه مبتورة، خطأ أول خطوة على الطرف الجديد. ارتجت القاعة بالتصفيق، بينما ضحك الطفل ضحكة ملأت المكان، ثم صاح:

"ماما! شفتيني؟ أنا أمشي من جديد!"

اقترب رجل مسن، نظر إلى بكيل، ثم بكى وهو يقول:

"ليس الثمن الذي جعلني أبكي... بل الكرامة التي رددتموها إلي".
جلس بكيل في زاوية القاعة للحظة، يراقب المشهد والدموع تحبس في عينيه. تذكر كلمات قرأها في عدوى القيم:

"أقوى العدوى ما انتقلت بلا ضجيج، من فعل صامت إلى قلب محتاج".

تمتم في نفسه:

"هذه البذرة لن تبقى هنا. ستتمو في اليمن... في السودان... في سوريا وغرة. وستظل تنمو ما دام هناك قلب يؤمن أن القيمة الحقيقية ليست في الكلمات... بل في الأثر".

رفع رأسه نحو د. توران وجون ومبروك، ثم قال:

"لن نعلن شيئاً... دعوا الأثر يتكلم بدلاً عنا".

عدوى دوائر الأثر

بعد أسبوع من توزيع الأطراف الصناعية، لم يتغير شيء في واجهة الجامعة أو في نشرات الأخبار. لكن في الداخل... كانت الموجة قد بدأت.

التقارير الطبية

أرسل طبيب تركي كان حاضراً أثناء التوزيع تقريراً علمياً إلى زملائه في جمعية جراحة العظام. كتب فيه: "نموذج جديد منخفض الكلفة... نتائجه الأولية مبشرة جداً. يحتاج لدعم أوسع".
انتشر التقرير بين الأطباء كشراة صغيرة.

الكلمة بين الناس

في حي الفاتح، أخبرت السيدة التي استعادت قدرتها على الإمساك بكوب الماء جارتها بما حدث.
قالت لها الجارة بدهشة:
"يعني... صاروا يصنعون أطراف رخيصة؟ هذا خبر حياة لابن أخي في غازي عنتاب".
وتناقل الخبر من فم إلى فم، حتى وصل إلى جمعيات محلية في الجنوب.

طلبات غير متوقعة

في مكتب جون، تراكتت الرسائل الإلكترونية:
. جمعية في غازي عنتاب تطلب دفعة تجريبية.
. منظمة صغيرة في السودان تستفسر عن إمكانية التعاون.

. رسالة من طبيب يماني كتب: "سمعنا أنكم أعدتم البسمة لطفل هنا... هل يمكن أن نعيدها لأطفالنا أيضاً؟"

داخل الفريق

جلس بكيل مع مبروك في المقهى المعتاد. قال مبروك وهو يقلب فنجان قهوته:
" كل هذا حدث دون إعلان أو مؤتمر... مجرد بذرة صامته، وها هي تكبر".
ابتسم بكيل:
" لأن القيم يا مبروك لا تحتاج مكبرات صوت. يكفي أن تُزرع في أرض عطشى، وستثمر".
وأضاف " فالعدوى القيمية بدأت تعمل أفقياً وعمودياً: بين الأطباء، بين الأهالي، وبين المؤسسات".

الاستدعاء الرسمي

في صباح يوم شتوي، وصل إلى مكتب د. توران ظرف مختوم بشعار وزارة الصحة التركية. فتحه ببطء، ثم قرأ بصوت عالٍ:
" إشعار رسمي: يُطلب حضور ممثل فريق الجامعة ومنظمة الإغاثة إلى مقر الوزارة لمناقشة مشروع الأطراف الصناعية منخفضة الكلفة. التاريخ: الخميس القادم. الحضور إلزامي".
نظر توران إلى بكيل ومبروك قائلاً:
" ها هي البذرة التي زرناها... بدأت تلفت الأنظار".
جلس بكيل في الاجتماع التحضيري للفريق، واضحاً كفيه على الطاولة. قال:

" هذه فرصة، لكنها اختبار. الوزارة قد ترى فينا إبداعًا... أو تهديدًا".

في مقر الوزارة

قاعة رسمية، جدرانها مزينة بشعارات الدولة. على الطرف الآخر من الطاولة جلس ثلاثة مسؤولين بملامح صارمة. بدأ أحدهم، بصوت رتيب:

" اطلعنا على ما سميتموه مصنع الأطراف. قبل أي خطوة، عليكم الحصول على ترخيص رسمي وفق المعايير الطبية والصناعية". تدخل آخر:

" كما يلزم وجود شريك صناعي محلي مسجل، وإلا فإن المشروع يعتبر غير قانوني".

تبادل بكيل ومبروك نظرات سريعة. ثم انحنى بكيل قليلاً للأمام وقال بهدوء:

" نحن لا نعترض على القوانين، بل نتمسك بها. لكن اسمحو لي أن أسأل: كم من ذوي الإعاقة ينتظرون اليوم طرفاً يساعدهم على المشي؟ آلاف؟ عشرات الآلاف؟ إن الانتظار لشهور إضافية قد يعني حياة معلقة".

صمت المسؤولون لحظة، ثم قال الأكبر بينهم:

" القضية ليست إنسانية فقط، بل أيضاً تنظيمية. أنتم تريدون اختراق السوق... وهذا يتطلب نظاماً".

أخذ د. توران الكلمة:

" نحن لا نسعى لسوق ولا لأرباح. نسعى لتطبيق المعرفة الأكاديمية لخدمة الناس. الجامعة ستقف شريكاً رسمياً. هل يمكن اعتمادها كغطاء قانوني؟"

نظر المسؤولون في أوراقهم، أحدهم أشار برأسه مترددًا:
" قد يكون ذلك ممكنًا... لكن بشرط أن تقدموا خطة تفصيلية خلال شهر، تشمل التمويل، والإشراف الطبي، وضمان الجودة".

خرج بكيل من الاجتماع وفي داخله خليط من الانقباض والأمل.
التفت إلى مبروك وهو يقول:
" هم يريدون أوراقًا... ونحن نريد أرواحًا تتحرك. علينا أن نحول أوراقهم إلى جسر لا إلى جدار".

صياغة الخطة

في قاعة صغيرة بالجامعة، جلس بكيل، مبروك، د. توران، وجون، والملفات متراكمة على الطاولة. على السبورة البيضاء كُتبت عبارة كبيرة بخط يد بكيل:

"كيف نحول الجدار إلى جسر؟"

قال مبروك وهو يقلب بين الأوراق:

" المطلوب ثلاثة محاور: التمويل، الإشراف الطبي، وضمان الجودة. كل واحد منها يحتاج وقتًا وأموالًا".

أجاب بكيل بابتسامة هادئة:

" لكننا لسنا غرباء عن هذه الشروط. في السودان، كانوا يطلبون منا أوراقًا لا نملكها. فابتكرنا نظامًا إداريًا يربط كل أسرة محتاجة ببطاقة موحدة. هذا هو الحل... نحول الشروط إلى أنظمة بسيطة".

رفع د. توران حاجبيه:

" تقصد أن نصمم خطة تُظهر للوزارة أننا ندير الأمر كهيئة رسمية، حتى قبل أن نُصبح كذلك؟"

أوماً بكيل برأسه:

" بالضبط. سنقسم الفريق إلى ثلاث لجان:

1. لجنة مالية بقيادة جون لإدارة التمويل وتوثيقه.

2. لجنة علمية بإشرافك يا دكتور توران لمتابعة الجانب

الأكاديمي والطبي.

3. لجنة تشغيلية بيني وبين مبروك لإدارة خطوط الإنتاج

التجريبية".

أخذ جون القلم وكتب ملاحظاته بسرعة، ثم قال:

" والتمويل؟ لا بد من مصدر واضح".

ابتسم بكيل:

" نبدأ بالمتاح: مساهمة الجامعة، دعم منظمتكم، ثم شراكة مبدئية

مع الشركة التركية الصغيرة التي وعدتنا بالمواد الخام. هذا يكفي

لنثبت جدوى المرحلة الأولى".

ساد الصمت لثوانٍ، ثم قال توران وهو يطرق الطاولة بخفة:

" خطة ذكية... الوزارة لن تجد ثغرة فيها".

في نهاية الاجتماع، وقف بكيل أمام السبورة، ومسح عبارته الأولى

ليكتب بدلاً منها:

"القيمة تصنع القانون، والقانون يحمي القيمة".

نظر إلى رفاقه وقال:

" لن نعمل ضد النظام... بل سنثبت أن القيم هي أقوى نظام".

عرض الخطة على الوزارة

بعد ثلاثة أسابيع من الاجتماعات المكثفة، ودفاتر ممثلة بالملاحظات، وورش عمل في الجامعة، حمل بكيل ملفاً أنيقاً كتب على غلافه:

"خطة المصنع التجريبي للأطراف الصناعية جامعة إسطنبول بالتعاون مع منظمة الإغاثة"

دخل قاعة الوزارة مع د. توران، مبروك، وجون. جلسوا على المقاعد المقابلة للمسؤولين.

فتح بكيل الملف وبدأ عرضه:

"سيدي الوزير، هذه خطة من ثلاث ركائز:

١ التمويل: مساهمة الجامعة، دعم المنظمة الدولية، اتفاق مع شركة محلية للمواد الخام.

٢ الإشراف الطبي: لجنة أكاديمية من قسم الهندسة الطبية، بإشراف د. توران.

٣ ضمان الجودة: نظام متابعة ثلاثي يشمل تقارير شهرية، مراجعة ميدانية، وملاحظات المستفيدين مباشرة".

رفع جون جدولاً مالياً وقال:

"الميزانية موثقة بالكامل، لا نطلب من الدولة سوى تسهيل التراخيص".

ثم وقف مبروك وأشار إلى لوحة هندسية:

"نقترح خط إنتاج تجريبي بسعة ٥٠٠ طرف في السنة الأولى، قابل للتوسع. كل قطعة موثقة برقم تسلسلي ومراقبة جودة دقيقة".

ساد القاعة صمت ثقيل. المسؤولون يقلبون الأوراق بتأنٍ. قال أحدهم بنبرة جادة:

"الخطة محكمة... لكننا سنحتاج لجنة مراجعة ميدانية للتأكد من مطابقة المعايير".

أجاب بكيل دون تردد:
" نرحب بأي لجنة. أبوابنا مفتوحة في الورش منذ البداية، وسنسلم كل الوثائق المطلوبة."
أطرق الوزير رأسه قليلاً، ثم قال:
" أعتزف... لم نرَ منذ فترة طويلة مشروعاً يجمع بين الأكاديمي، والإنساني، والاقتصادي بهذا الشكل. سنُحال الخطة إلى لجنة عليا، وإذا أقرت، فأنتم على الطريق الصحيح."
خرج بكيل والفريق من الوزارة، والملف في يد الوزير. وقفوا على درج المبنى، أشعة الشمس تلمع فوقهم.
قال د. توران مبتسماً:
" لقد حوّلت يا بكيل البيروقراطية من جدار إلى جسر."
ابتسم بكيل وهو يرفع عينيه نحو السماء:
" القيم هي التي كتبت الطريق... وما نحن إلا عابروه."

القرار الرسمي

بعد أسبوع من الاجتماع الوزاري، في صباح مشمس، اجتمع بكيل والفريق في مكتب الجامعة، والأجواء متوترة. طرق الباب موظف يحمل ظرفاً مختوماً بشعار الوزارة.
فتح د. توران الظرف وبدأ يقرأ بصوت مرتجف:
" قرار اللجنة العليا: تمت الموافقة على المشروع التجريبي للأطراف الصناعية تحت إشراف جامعة إسطنبول ومنظمة الإغاثة الدولية. تُمنح التراخيص الأولية لمدة عام، قابلة للتجديد."
انفجر المكان بالتصفيق. مبروك رفع يده عالياً وقال:
" لقد فزنا بأول معركة!"

جلس بكيل بهدوء، ابتسامة عميقة على وجهه، وهمس في داخله:
"الحمد لله... ها نحن نخطو خطوة أخرى، ليس لي وحدي... بل
لكل من فقد طرفاً وينتظر أن يعود لحياته".

الذكاء الاصطناعي واللقاء غير المتوقع

قرر فريق الجامعة إيفاد كل من بكيل ومبروك للصين للتعرف على
مستجدات خوارزميات حركة العضلات، وصل الوفد إلى مدينة
شنزن الصينية، مدينة الأضواء والتكنولوجيا. كانت البنايات تعكس
في الليل وهج الشاشات العملاقة، والإعلانات الرقمية تعرض
أحدث تقنيات الروبوتات والذكاء الاصطناعي.
دخل قاعة مؤتمر دولي حول "الذكاء الاصطناعي في خدمة
الصحة".

جلسا في الصفوف الأمامية، يسجلا ملاحظتهما بتركيز:
خوارزميات تقرأ حركة العضلات...
برامج تتعرف على نمط مشي المريض وتقرح الطرف الأنسب...
نماذج أولية تجمع بين الطباعة ثلاثية الأبعاد والذكاء الاصطناعي
للتخصيص الدقيق...

في استراحة الغداء، لمحا وجوهاً مألوفة على شاشة جانبية في
القاعة. كانت قناة الجزيرة تبث تقريراً قصيراً عن "طالب يماني
مبتكر في الصين"، يجري مقابلة مع شاب يضع نظارة طبية
سميكة، يتحدث بحماس عن "ابتكارات مجتمعية منخفضة الكلفة".

همس بكيل لنفسه بدهشة:
" معقول... هذا من بلادي؟"
لم تمض دقائق حتى التفت فرأى الشاب نفسه يدخل القاعة. تقدم نحوه بابتسامة، وقال:
" السلام عليكم... أنت بكيل، أليس كذلك؟"
أجاب بكيل بدهشة:
" وكيف عرفت اسمي؟"
ضحك الشاب قائلاً:
" أنا حاشد. تابعت ورشكم في إسطنبول عبر الإنترنت. لم أكن أظن أنني سأراك هنا".
جلسا معاً على طاولة صغيرة. بادر حاشد قائلاً:
" أنا أعمل على برمجيات تُمكن الأطراف الصناعية من التكيف مع المريض في أيام قليلة بدل أشهر. حلمي أن تصل هذه التقنية لليمن... لكنني أفقد الجسر".
ابتسم بكيل:
" الجسر هو ما نبحث عنه جميعاً. أنا أحلم بمصنع يرفد اليمن وسوريا والسودان... وأنت تحلم بالتقنية. فلم لا نصنع الجسر معاً؟"

إعاقة المنافسين

لم يمر أسبوع على القرار الوزاري بمنح الترخيص، حتى ظهرت في شوارع إسطنبول ملصقات دعائية ضخمة لشركة تجارية كبرى:
"أطراف صناعية بأحدث التقنيات... تسليم فوري... أسعار منافسة".

في مساء ذلك اليوم، اجتمع الفريق في المقهى المعتاد. كان جون يحمل نسخة من إعلان الشركة. قال وهو يضع الورقة على الطاولة: "لقد دخلنا مرحلة جديدة... هذه الشركة معروفة بالاحتكار، وستحاول القضاء علينا". أجاب مبروك بحدة: "منتجاتهم سريعة ورخيصة... لكن جودتها مشبوهة. المشكلة أنهم يملكون المال والإعلانات". تنهد بكيل وقال بثبات: "نحن لا ننافسهم في السوق... نحن ننافسهم في القيم. منتجنا ليس سلعة فحسب، بل حياة. إذا استطعنا أن نثبت هذا للناس... فلن يوقفنا مال ولا دعايات". تدخل د. توران وهو ينظر إليهم: "لكن علينا الاستعداد... المنافسة هنا ليست عادلة. قد يضغطون على الوزارة نفسها لإلغاء ترخيصنا". أطرق بكيل رأسه لحظة، ثم رفعه بعينين ثابتتين وقال: "إذن لن نثبت جدارتنا بالقول... بل بالفعل. نُخرج أول دفعة رسمية بأعلى جودة، ولنجعل المرضى أنفسهم يتحدثون عنا".

المشهد في الخارج

في اليوم التالي، امتلأت صفحات وسائل التواصل بمقاطع فيديو التوزيع. كتب أحد الأطباء: "الفرق بين منتج المصنع الجديد ومنتجات الشركة المنافسة مذهل. الأول مصمم بعناية وبروح إنسانية، الثاني تجاري بلا روح".

وقال شاب على تويتر:
"رأيت أخي يعود ليمشي من جديد... هذا ليس مصنعًا، هذه معجزة".
في مكتبه، جلس بكيل يقرأ التعليقات. لم يشعر بالنصر على الشركة المنافسة بقدر ما شعر بالطمأنينة أن القيم أثبتت جدارتها بالفعل لا بالشعارات.
همس لنفسه:
"الحق لا يحتاج ضوضاء... يكفي أن يُجربه الناس".

مشهد التعاقدات

في إسطنبول، اجتمع بكيل مع ممثلين عن منظمات خيرية يمنية وسورية وسودانية. وقعوا اتفاقيات تنص على:
• توفير التدريب والتأهيل الحرفي للشباب في الجامعات المحلية.

• اعتماد المصنع الأم في إسطنبول كمركز رئيسي للإشراف.
• تمكين الجمعيات المحلية من توزيع المنتجات وضمان وصولها إلى المحتاجين.

رفع بكيل القلم بعد آخر توقيع وقال:
"اليوم لم نوقع عقودًا فقط... وقعنا على بداية شبكة قيمية تربط القلوب قبل الأيدي".
في لحظة صمت بعد الاجتماع، جلس بكيل وحده يتأمل الخريطة أمامه. خطوط تصل إسطنبول باليمن، وسوريا، والسودان.

تمتم وهو ينظر إليها:
"هكذا تتحول العدوى القيمية... من فرد إلى فريق، من مدينة إلى أمة. يا رب، اجعل هذا العمل شاهدًا أن القيم إذا سارت في الناس... صنعت حضارة."

مشهد سوريا

في حلب، داخل قاعة جمعية خيرية، جلس بكيل أمام مجموعة من ممثلي المنظمات.
قال لهم:
"نحن لا نبيع منتجات، نحن نعيد حياة. ما نطلبه منكم هو أن تكونوا جسورًا، وكلاء لنا في مدنكم. أنتم تعرفون المستحقين أكثر منا".
تقدمت سيدة تعمل في الإغاثة، وقالت بعينين دامعتين:
"أطفال فقدوا أطرافهم في الحرب ينتظرون هذا منذ سنوات. سنكون أوفياء لهذا العهد".

مشهد السودان

وصل بكيل إلى الخرطوم، واستقبله فريق من المتطوعين الشباب في ورشة صغيرة تتبع فرع المصنع. الجو حار، والمكان مزدحم بأدوات بدائية.
أحد المتطوعين، بحماسة زائدة، قال:
"فلنضاعف العمل! نستطيع تركيب ٣٠ طرفًا هذا الأسبوع".

اعترض آخر، وهو أكثر حذرًا:
" هذا مستحيل. الكلفة عالية، والمواد قليلة".
وثالث تتمم بضيق:
" ولماذا نُتعب أنفسنا إن كان الدعم ضعيفًا من الناس؟"
وقف بكيل بينهم، هادئًا، ثم قال بصوت متزن:
" يا إخوتي، تعلمت في رحلتي أن التوازن هو سرّ الإصلاح. العدل
أن نُوزع العمل بقدر الطاقة، الرحمة ألا نرهقكم فوق طاقتكم،
والصدق أن نُنجز ما نعد به فقط".
أمسك بيد الشاب الحماسي وقال:
" حماسك عظيم... لكن لنجعله بخطوات واقعية".
ثم التفت إلى الحذر:
" خوفك مفهوم... فلنجعل من الحسابات وسيلة تنظيم لا وسيلة
تعطيل".
وأخيرا إلى المتذمر:
" تذكر، حتى لو لم يدعمنا الناس اليوم... يكفي أن ندعم إنسانًا
واحدًا ليعود لحياته. هذا وحده انتصار".
في نهاية اليوم، اجتمع المتطوعون حوله. أحدهم قال:
" كنا مختلفين في الرأي... لكنك جعلتنا نشعر أننا فريق واحد".
ابتسم بكيل وأجاب:
" الحكمة ليست أن أُسكت الخلاف... بل أن أجعل الخلاف طريقًا
للاتفاق".
عاد بكيل لإستانبول وفي دفتره في المساء كتب:
"القيم حين تُزرع في النفوس تحتاج لماء الحكمة... عندها فقط
تُثمر في الميدان".

دفتر بكيل

ليلة هادئة في إسطنبول. جلس بكيل في غرفته الصغيرة، نافذته مفتوحة على هواء بارد، وعلى الطاولة دفتريه الذي صار صديقه في الرحلة. أضاء مصباحًا خافتًا، وأمسك القلم. بدأ يكتب، لكن الكلمات لم تنزل مباشرة... بل جاءت عبر صور حية في ذاكرته.

◆ العدل بلا حكمة

تذكر السودان: ساحة مزدحمة أمام مركز توزيع الغذاء. مسؤول يصرخ على عجوز تأخرت في إبراز بطاقتها. كتب: "رأيت كيف يتحول العدل إلى قسوة حين يُجرّد من الحكمة. لو وزّع بعقل ورفق، لكان عدلاً ورحمة معاً."

◆ الرحمة بلا حكمة

انتقل ذهنه إلى جيبوتي: موظف يسجل أسماء في دفاتر المساعدات، يتجاهل تزوير شاب لأنه "فقير مسكين". كتب: "رحمة بلا حكمة صارت ظلمًا خفيًا، أعطت غير مستحق، فحرمتم الأحق."

◆ الصدق بلا حكمة

تذكر شابًا في بيت الضيافة واجه صديقه قائلًا: "أنت كسول وفاشل" بنية النصيحة. رأى صديقه ينهار بدل أن يستقيم. كتب: "الصدق حين يفقد الحكمة، يصبح خنجرًا. أما إذا لفّ بالطف، صار مفتاحًا للقلوب."

◆ العفو بلا حكمة

تذكّر جاره في السكن الجامعي، الذي يعفو عن كل إساءة من زملائه حتى صاروا يستهينون به.
كتب: "العفو بلا حكمة ضعف. أما العفو عند المقدرة مع ردع، فهو قوة مضاعفة."

أغلق عينيه قليلاً، ثم كتب بخط أكبر من كل ما سبق:
"القيمة بلا حكمة تعمى... والحكمة بلا قيمة تخدع. التوازن هو سرّ الإصلاح وكذلك جعلناكم أمة وسطاً."

وضع القلم جانباً، وأخذ نفساً عميقاً. شعر أن التناقضات التي حاصرتة في رحلته بدأت تتضح في ميزان جديد.
ابتسم وهو يتمتم:
"الآن صرت أفهم... لماذا رأيت كل تلك الصور. كانت دروساً، لا تناقضات".

المصنع كمختبر ميداني

في صباح مشرق بإسطنبول، اصطفت طالبة الدراسات العليا عند مدخل المصنع، يحملون دفاترهم وأجهزتهم المحمولة. كانت الجامعة قد أقرّت رسمياً مادة بعنوان: "البحث الميداني في الأطراف الصناعية"، ولا يُنجز الطالب مادته إلا من خلال قضاء فصل كامل في المصنع تحت توقيع بكيل.
وقف بكيل أمامهم مبتسماً:
"أهلاً بكم في مكان لا يُعلّمكم فقط كيف تُصنع الأطراف... بل كيف تُصاغ القيم".

دخلوا إلى القاعة الكبرى حيث خطوط الإنتاج. أشار إلى أول محطة وقال:

" هنا نتعلم أن الدقة عدل، فلا نزيد ولا ننقص. وفي المحطة الثانية، الرحمة علم، لأننا لا نركب طرفًا على عجل... بل نركبه على جسد إنسان سيحيا به".
أحد الطلبة سأله:

" هل نعتبر هذه الورشة مختبرًا تقنيًا؟"
ابتسم بكيل:

" بل مختبرًا للحياة. أنتم ستكتبون في بحوثكم عن المواد والآليات، لكن لن تنسوا أن كل رقم في بحوثكم وراءه قصة إنسان وتوقيعي اليوم ليس على ورقة بحث فقط... بل على وعد أن تُصبحوا أنتم سفراء المصنع في كل أرض".
في المساء، جلس بكيل يراجع دفاتر الطلبة، ثم كتب في دفتره الشخصي:

"كنت يومًا أبحث عن تأشيرة تفتح لي باب العلم. واليوم... أنا أوقع بأمضى من أي تأشيرة: توقيع يُطلق العقول لتصنع مستقبلها".

حوار داخلي مع القيم

ليل هادئ في إسطنبول. جلس بكيل في مكتبه، بجانبه كومة من دفاتر الطلبة، وعلى الطاولة كتاب قديم مفتوح على صفحة فيها تقسيم القيم: محورية تابعة تحسينية.
أخذ يقرأ بصوت خافت، وكأنه يحادث نفسه:
" القيم المحورية... تلك التي لا تقوم الحياة بدونها: العدل، الصدق، الرحمة، الحرية"...
توقف لحظة، وأغمض عينيه، كأنه يسترجع صورًا من رحلته:

المسؤول القاسي في السودان، الموظف المتساهل في جيبوتي،
المهرب في البحر.
همس:
" ها هي التناقضات... لكن لو وزنتها بالمحورية، لعرفت أن العدل
لا يكون قسوة، ولا تكون الرحمة فوضى".
قلب الصفحة:
" القيم التابعة... التي تُساند المحورية: الأمانة، الشجاعة،
الكرم"...
ابتسم وهو يتذكر جون، وكيف كان أجنبيًا لكنه آمنه على مساره،
وكيف كان مبروك كريماً حين شاركه سكنه.
قال في نفسه:
" هذه القيم تُبنى على المحورية... فلا معنى للأمانة بلا عدل، ولا
للشجاعة بلا رحمة".
أكمل:
" القيم التحسينية... التي تزين الصورة وتفتح الأفق: الذوق،
الإحسان، التواضع"...
تذكر اللحظة التي عادت فيها المرأة السودانية لتحرك مسبحتها
بطرف صناعي جديد.
دمعت عيناه وهو يقول:
" ما أجمل أن تُحاط القيمة الكبرى بزينة من الإحسان... حينها
تصير للحياة نكهة أخرى".
أغلق الكتاب وأمسك قلمه، وكتب في دفتره:
"التناقضات لا تحسمها الحيرة... بل تحسمها الموازنة. المحورية
تضع الأساس، التابعة تُكمل البنیان، والتحسينية تُجمل المشهد.
وبهذا الميزان... يزول التشويش".
جلس بكيل طويلاً ينظر إلى كلمات كتبها، ثم تمتم كمن يُكلم نفسه:
" الذي يزن بالقيم... لا يتيه أمام تناقضات الناس".

العودة إلى الجذور

على مدرج مطار صنعاء القديم، نزل بكيل بخطوات بطيئة، عيناه تغرقان بدموع وهو يقبل رأس والديه. كان المشهد أكبر من لقاء ابن بوالديه... كان لقاء حلم بواقعه. جلس في ساحة القرية مع كبارها وشبابها، وقال بصوت مفعم بالثقة:

" اليوم أعود لا لأبقى في إسطنبول وحدها... بل لأفتح هنا فرعاً لمصنعنا. من أراد أن يكون له قيمة مضافة في مجتمعه، فليتهياً لبرنامج تدريبي يبدأ من جامعة إسطنبول، ثم المصنع الأم، ليعود قادراً على إدارة خطوط الإنتاج في اليمن".

رفع أحد الشباب يده وقال:

" هل سنُدرّب فقط في التقنية؟"

ابتسم بكيل:

" سنتدرّبون على التقنية، وعلى القيم أيضاً. لأن اليد التي تصنع طرقاتاً صناعياً... يجب أن تكون مشبعة بالرحمة".

حلم الشهادة الجامعية

عاد بكيل إلى وطنه اليمن. لم يحمل في يده شهادة جامعية، لكن خلفه مصنع للأطراف الصناعية يعمل في إسطنبول، وفروع في السودان، وسوريا، واليمن وغزة.

جلس في ساحة صغيرة أمام منزله، تحيط به وجوه قريته: طفل

يركض بطرف صناعي جديد، وأب ينظر إلى ابنه بعينين دامعتين،
وأم تدعو بصوت خافت.
كان بكيل غارقاً في تأملاته:
"لم أرجع بالورقة المختومة... لكنني عدت بالغاية التي سعيت لها.
الشهادة وسيلة، أما الغاية فهي أن نصنع أثراً. لم يكن الحلم لي
وحددي، بل تكامل بين جون ومبروك وتوران وحاشد وكل من آمن
أن القيم حين تمتزج بالحكمة تُصبح تغييراً. لقد تعلمت أن الدعوة
ليست باللسان فقط... بل بالعمل، وما العدوى القيمية إلا صورة من
صور الدعوة التي تدخل القلوب بغير استئذان".
قطع شروده صوت مألوف:
"بكيل"...

التفت، فإذا بجون يقف عند باب الغرفة، مبتسماً وعلى وجهه سكينة
غريبة.
قال بهدوء:
"أنا توضأت... هل أنت مستعد للصلاة؟"
ابتسم بكيل ابتسامة عريضة، ونهض وهو يتمتم:
"الحمد لله الذي جعل من رحلتنا صلاةً ممتدة"...
وانطفأت الكاميرا على صورة الاثنين يسيران جنباً إلى جنب نحو
المسجد، بينما أذان المغرب يتردد في أرجاء القرية.

الراوي

"*لم تكن رحلة بكيل بحثاً عن شهادة، ولا سفرًا وراء لقب، بل
كانت امتحاناً في فهم جوهر الحياة. فمن قارب يهتز على موج
الخوف، إلى ورشة يضيئها الأمل، إلى مصنع يحتضن العقول

والقلوب... أدرك أن الغاية ليست فيما يُكتب على ورق، بل فيما يُخط على وجوه الناس من ابتسامة جديدة.

لقد أثبت أن العدوى القيمية ليست شعارًا، بل فعلًا يتناقل كما يتناقل النور من شمعة إلى شمعة. وأن الدعوة أبلغ ما تكون حين تصير عملاً نافعًا، يبرهن أن القيم مع الحكمة قادرة أن تجبر الكسر وتعيد العمر للحياة.

وهكذا، رجع بكيل لوطنه بلا شهادة جامعية... لكنه رجع بما هو أبلغ: شهادة الناس على أثره، وشهادة الزمن على أن الحلم حين يُزرع بالقيم ويُسقى بالحكمة، لا بد أن يثمر*."

تقلد بكيل بعد خمس عشر عام من العمل منصب المفوض العام في هيئة الإغاثة العالمية للمعاقين، وحصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة إستانبول، وعين مستشارا في الحكومة اليمنية للمشاريع التنموية.

عنون أحد مراكز المعاقين في إستانبول عبارة كتبت في مدخل المركز لبكيل قال فيها:

"لم أصل إلى مقعد الدراسة، لكنني صنعت مقاعد لغيري لينهضوا عليها من جديد".

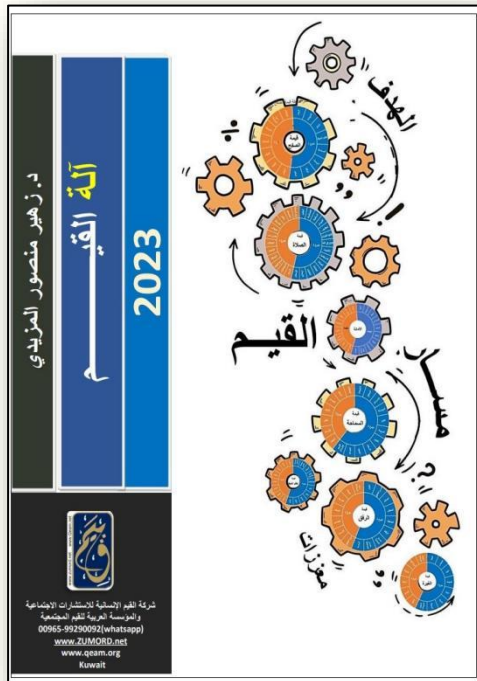
تجاوز مع بكيل

يمكنك أن تتجاوز مع بكيل عبر التطبيق الذكي التالي

<https://chatgpt.com/g/g-68b84d1640708191aed2b93316b83765-rhl-bkyl>

تم بحمد الله

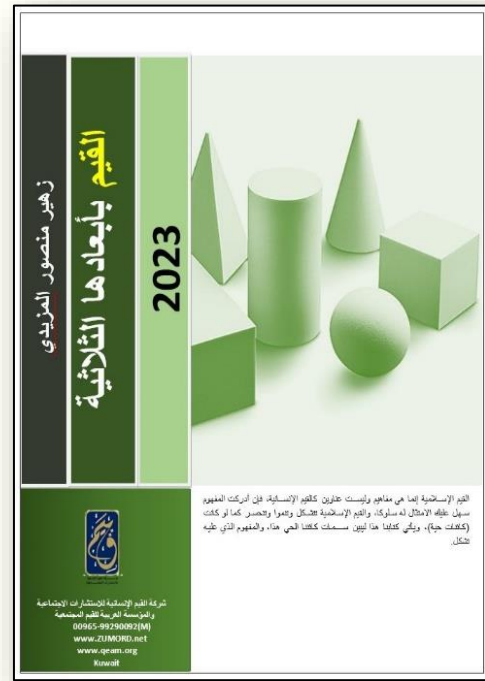
حمّل أي كتاب مجاناً بالضغط على الرابط أسفل غلاف الكتاب، يسمح لاقتباس ما شئت مع الإشارة للمصدر مع الرابط، ولا بأس من طباعة نسخة من أي كتاب ورقياً في غير القصد التجاري.



<https://t.me/tammalto/622>



<https://wp.me/p3WskZ-ckt>

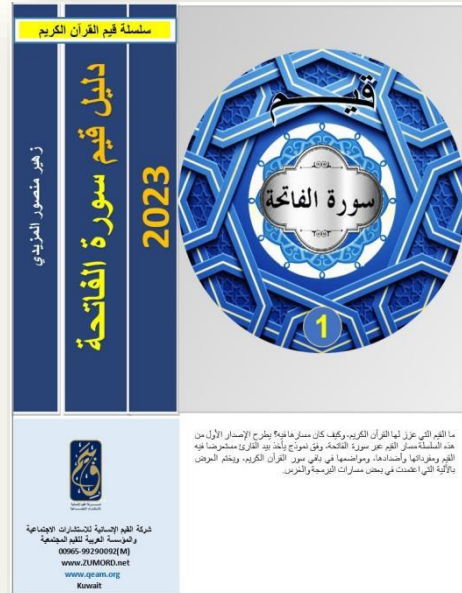
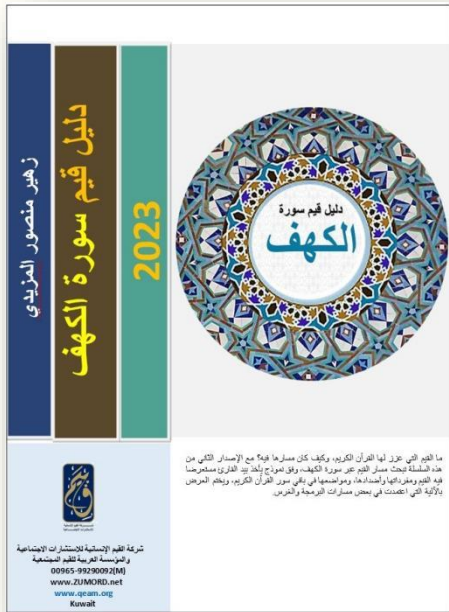


<https://t.me/tammalto/624>



<https://wp.me/p3WskZ-cjl>





<https://t.me/tammalto/627?single>

<https://wp.me/p3WskZ-ch1>

<https://wp.me/p3WskZ-cg6>



<https://wp.me/p3WskZ-chL>

<https://wp.me/p3WskZ-ciP>

<https://wp.me/p3WskZ-chh>



<https://wp.me/p3WskZ-chr>

<https://wp.me/p3WskZ-ci5>

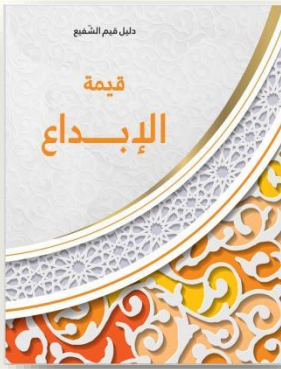
<https://t.me/tammalto/627?sindie>

<https://wp.me/p3WskZ-ci5>

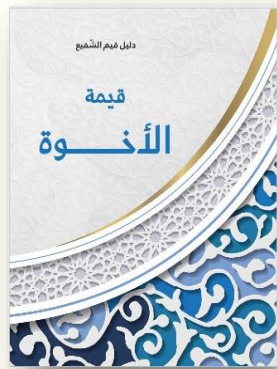


صفحات من كتاب (آلة القيم)

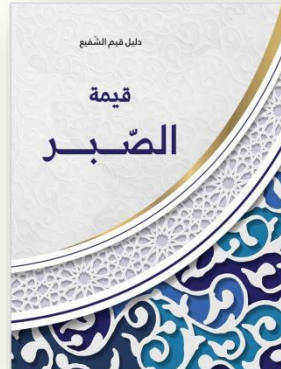
<https://wp.me/p3>



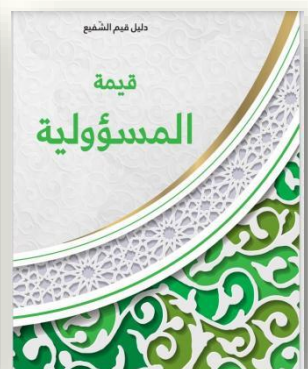
<https://wp.me/p3WskZ-cjA>



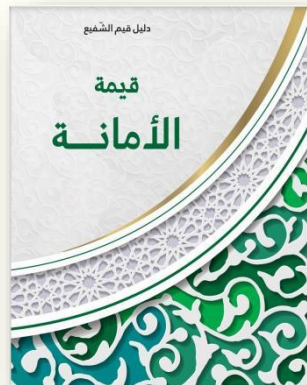
<https://wp.me/p3WskZ-cjP>



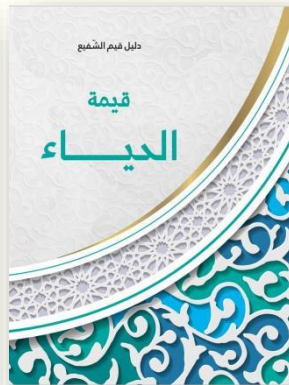
<https://wp.me/p3WskZ-cke>



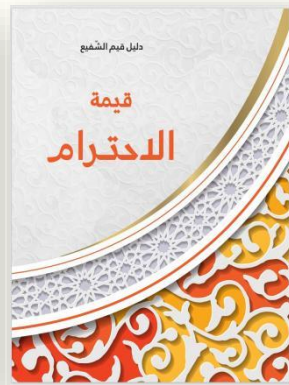
<https://wp.me/p3WskZ-ckn>



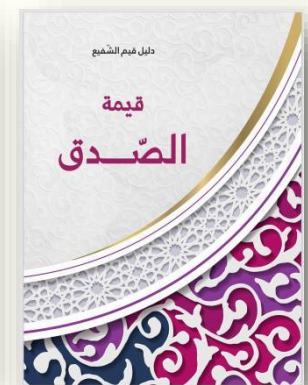
<https://wp.me/p3WskZ-ck8>



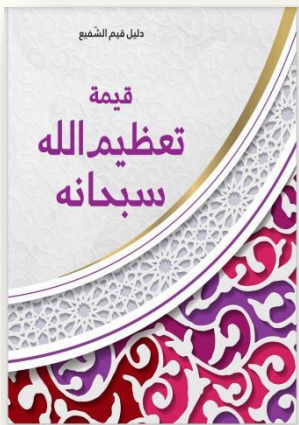
<https://wp.me/p3WskZ-ckb>



<https://wp.me/p3WskZ-cjM>



<https://wp.me/p3WskZ-cjF>



<https://wp.me/p3WskZ-ckg>



<https://wp.me/p3WskZ-ckn>



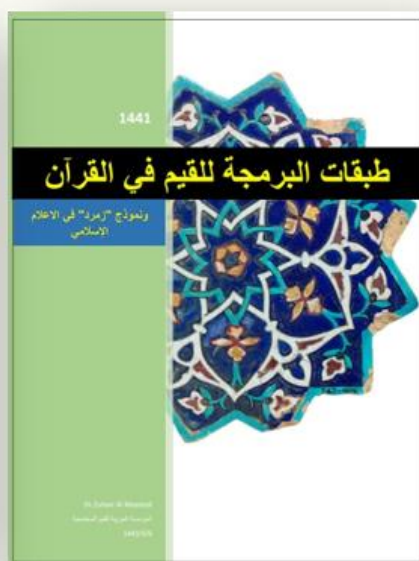
<https://t.me/tammalto/629>



<https://t.me/tammailto/662>



<https://t.me/tammailto/684>



<https://t.me/tammailto/691>



[حركة الكامرة في القصص القرآني](#)

[طبقات البرمجة للقيم في القرآن | muslim-library.com](#)

[وإن من شيء إلا يسبح بحمده](#)



<https://t.me/tammailto/661>



<https://t.me/tammailto/641>



<https://t.me/tammailto/676>



<https://wp.me/p3WskZ-bWQ>

<https://wp.me/p3WskZ-bWM>

<https://wp.me/p3WskZ-bv>





<https://wp.me/p3WskZ-crP>

<https://t.me/tammalto/623>

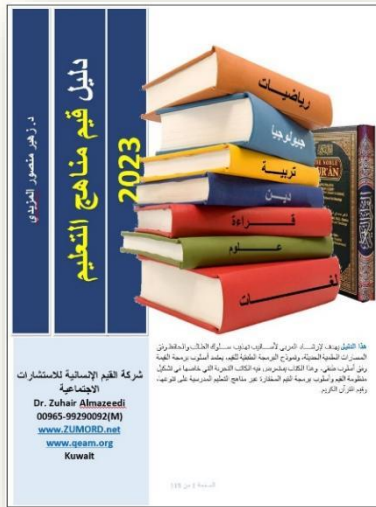


صفحات من كتاب (مسارات القيم)

<https://wp.me/p3WskZ-cta>



<https://t.me/tammalto/726>



<https://bit.ly/3FBcZUm>

https://www.youtube.com/channel/UCLt_kUbpzNCeF5NEbduVYuiA/videos



<https://t.me/tammalto/663>



<https://t.me/tammalto/688>

<https://wp.me/p3WskZ-bWh>



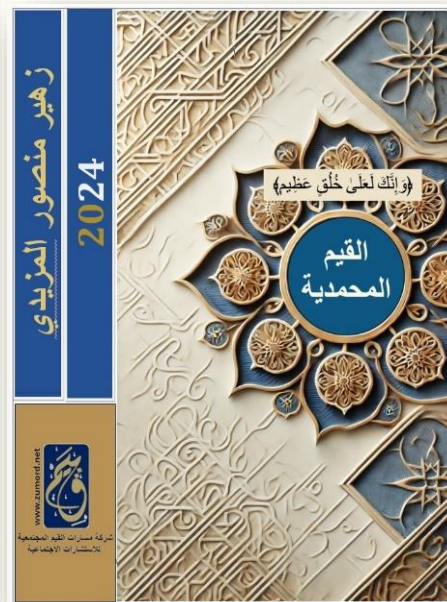
<https://wp.me/p3WskZ-c0n>



<https://wp.me/p3WskZ-dfx>
<https://wp.me/p3WskZ-ddz>
<https://wp.me/p3WskZ-ddE>
<https://wp.me/p3WskZ-dfA>
<https://wp.me/p3WskZ-d2i>
<https://wp.me/p3WskZ-eui>
<https://wp.me/p3WskZ-euj>
<https://wp.me/p3WskZ-euk>
<https://wp.me/p3WskZ-cWe>
<https://wp.me/p3WskZ-dfE>



<https://wp.me/p3Wsk>



<https://wp.me/p3WskZ->

تلاوات في من أحصاها

زهير منصور المزدي

2020

زهير منصور المزدي

المؤسسة العربية لتقييم المجتمعية
Arab Institution for social values
Zuhair Almazzeedi
00965-99290092(M)
www.ZUMORO.net
www.azsai.org
Kuwait

<https://t.me/iammaito/677>

معارات الكلمة

2021

زهير منصور المزدي

زهير منصور المزدي

المؤسسة العربية لتقييم المجتمعية
Arab Institution for social values
Zuhair Almazzeedi
00965-99290092(M)
www.ZUMORO.net
www.azsai.org
Kuwait

<https://t.me/iammaito/671>

<https://wp.me/p3WskZ-brE>

<https://wp.me/p3WskZ-bQ2>

بعض اختياراتنا منه لهم بذلك.	الفرقان: 20	الأفكل: 73
الاعلام: 53	عدم الاقتراب	احتراز الفتن
يقول الشيطان يوم الحساب لله ربنا ما أضللت عبيدك. ولكن كان عبيدك في مثل غضن البصر.	حفظ من الفتن، الذين ظلموا فقصير.	على حق، ما أصابهم هذا العذاب.
في طريق بعد عن سبيل الهدى.	التور: 30	الأفكل: 25
في: 27	الزمر: 49	

ورد اسم القيمة	وردت مرادفات القيمة	وردت عبر سياق أو إشارة الآية
فن	ضلال	يقض
البقرة (102)، (193)	آل عمران (164)	آل عمران (118)
ص (14)، (34)	الانعام (74)	المائدة (14)، (64)، (91)

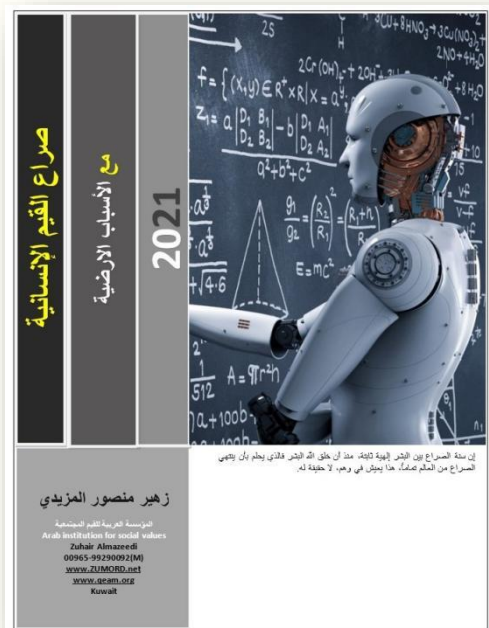
المائدة (6)، (41)، (71)، (90)	الأعراف (60)	السمحة (4)
الأنعام (24)، (53)	يوسف (8)، (30)	آمن
الأفكل (7)، (10)، (14)، (25)، (28)	الرعد (14)	البقرة (283)
(39)، (73)، (101)	إبراهيم (3)	حزق
يونس (85)، (91)	مريم (38)	البقرة (44)، (75)، (164)
الإسراء (49)، (60)	الأنبياء (54)	(170)، (242)
طه (23)، (85)	الشعراء (97)	آل عمران (65)، (118)
الأنبياء (35)، (48)	القصاص (85)	الأفكل (32)، (151)
(111)، (126)	لقمان (11)	الأفكل (22)
الحج (11)، (47)	سبا (24)	يونس (42)
(53)	يس (24)، (47)	التحل (12)
التور (63)، (83)	الزمر (22)	الحج (46)
الفرقان (20)، (40)	غافر (25)، (50)	المؤمنون (80)
العنكبوت (2)، (3)	الشورى (18)	الشعراء (28)
(10)، (47)	الأحقاف (32)	العنكبوت (35)، (63)
الصافات (14)، (63)	ق (27)	الروم (28)
ص (14)، (34)	القمر (24)، (47)	المك (10)
		آل عمران (62)

<https://wp.me/p3WskZ-ch1>

صفحات من كتاب دليل قيم سورة الكهف



<https://t.me/ammalto/640>



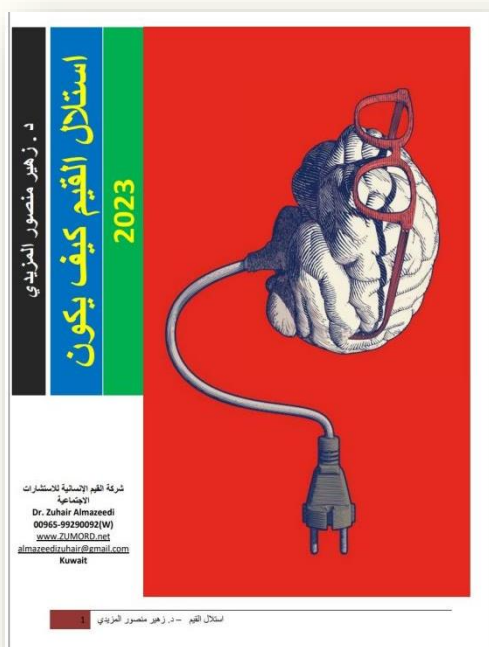
<https://t.me/ammalto/637>



<https://wp.me/p3WskZ-bYn>



<https://wp.me/p3WskZ-bWA>



<https://t.me/ammalto/690>



<https://t.me/ammalto/638>



<https://wp.me/p3WskZ-cb9>



[المسلمة \(muslim-library.com\)](https://muslim-library.com)





صفحات من كتاب (استلال القيم)
<https://wp.me/p3WskZ-cb9>



<https://t.me/tammalto/673>



<https://bit.ly/2MkLV2z>



<https://t.me/tammalto/678>



<https://wp.me/p3WskZ-brX>



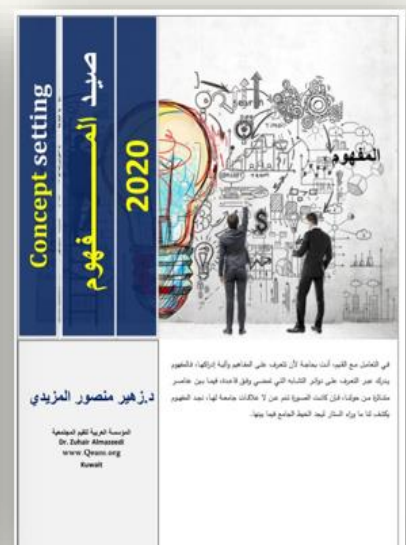
<https://t.me/tammalto/686>



<https://t.me/tammalto/683>



<https://t.me/tammalto/660>



<https://wp.me/p3WskZ-bpU>

<https://wp.me/p3WskZ-aKO>

<https://wp.me/p3WskZ-9a>



<https://t.me/tammalto/672>



<https://t.me/tammalto/695>



<https://t.me/tammalto/655>

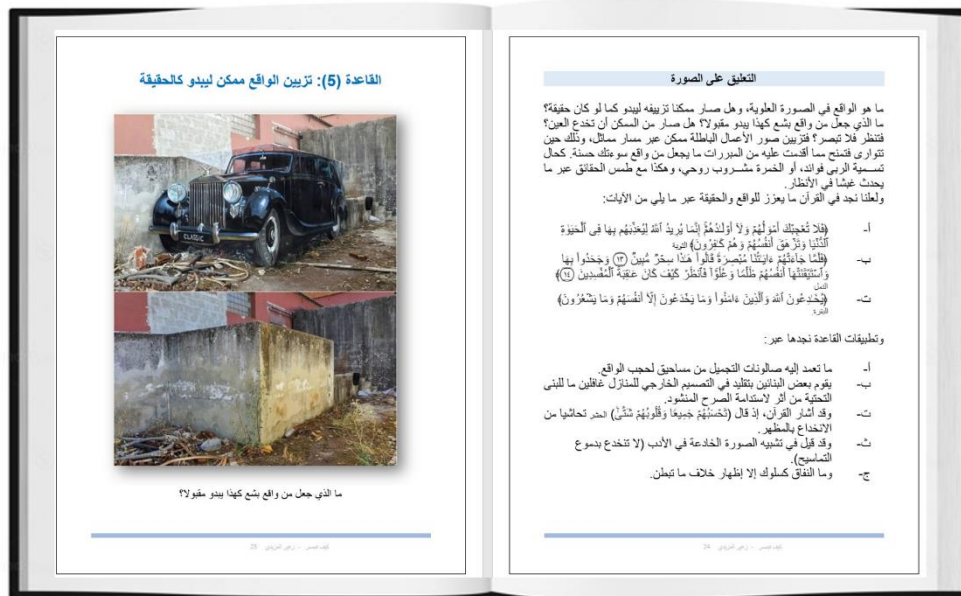


<https://wp.me/p3WskZ-9Je>

<https://wp.me/p3WskZ-9a0>

<https://bit.ly/3f5ukEn>





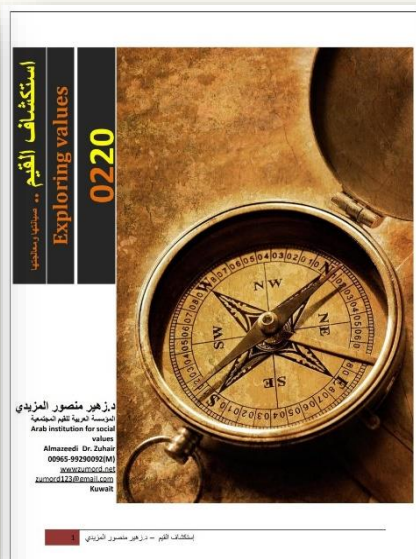
<https://bit.ly/2MkLV2z>

صفحات من كتاب (كيف تبصر)

<https://t.me/tammailto/674>

<https://t.me/tammailto/692>

<https://t.me/tammailto/693>



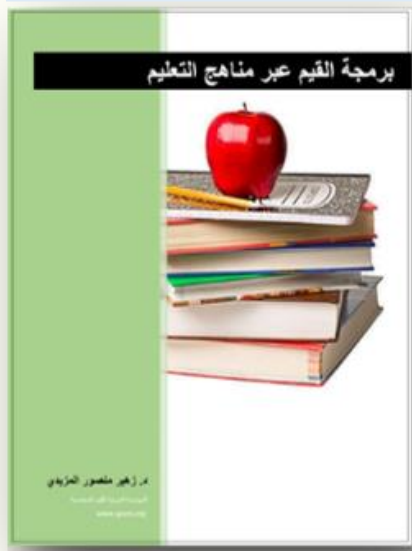
<https://wp.me/p3WskZ-9ad>

<https://wp.me/p3WskZ-99N>

<https://wp.me/p3WskZ-999>



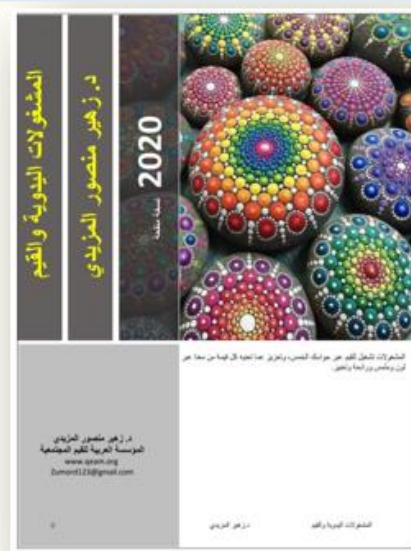
<https://t.me/tammailto/687>



<https://t.me/tammailto/682>



<https://t.me/tammailto/694>



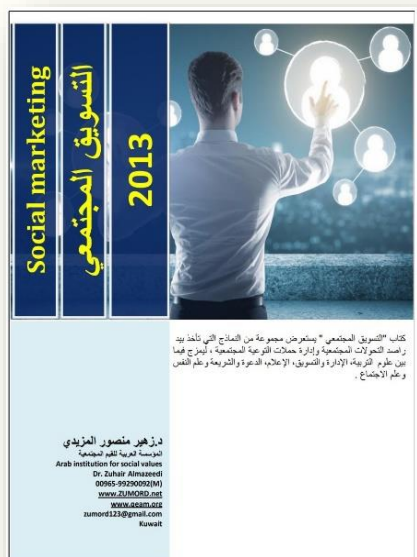
[برمجة القيم عبر مناهج التعليم](https://t.me/tammailto/687)

[تفعيل القيم لرياض الأطفال](https://t.me/tammailto/682)

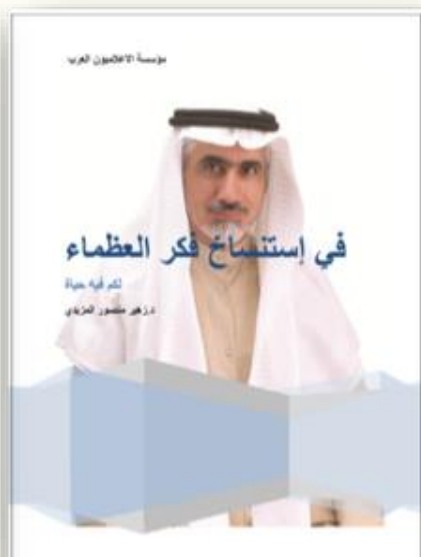
<https://wp.me/p3WskZ-9s>



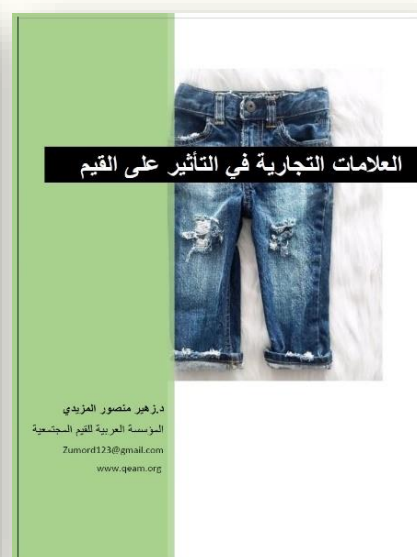
<https://t.me/tammailto/645>



<https://t.me/tammailto/670>



<https://t.me/tammailto/647>

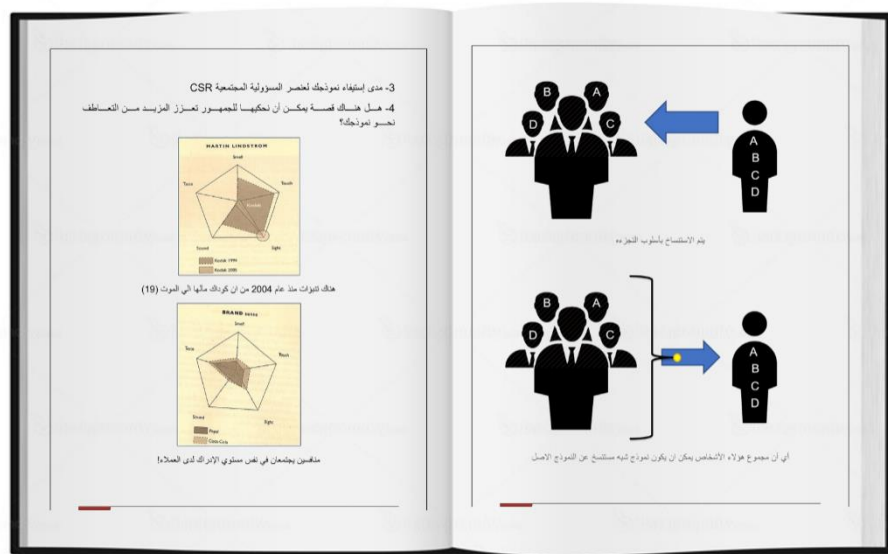


<https://wp.me/p3WskZ-99Q>

<https://wp.me/p3WskZ-99J>

[العلامات التجارية في التأثير على القيم](https://wp.me/p3WskZ-99I)





صفحات من كتاب (في استنساخ فكر العظماء)
<https://wp.me/p3WskZ-99J>

<https://t.me/tammalto/649>

<https://t.me/tammalto/644>

<https://t.me/tammalto/653>



<https://bit.ly/2E95kfp>

http://bit.ly/sinaeat_altakamul

<http://bit.ly/sinaeatalmasw>





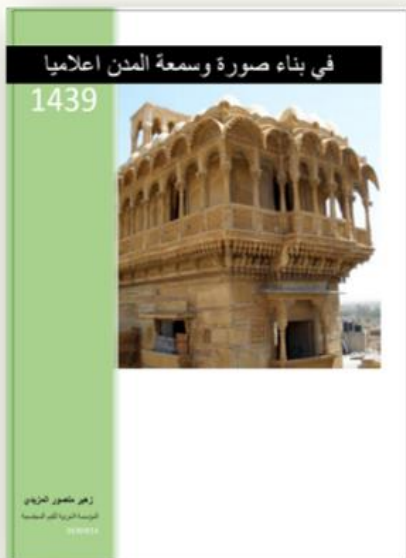
<https://wp.me/p3Wsk>

صفحات من كتاب (البرمجة التطبيقية للقيم)

<https://t.me/tammalto/650>

<https://t.me/tammalto/652>

<https://t.me/tammalto/654>



[في بناء صورة وسمعة المدن اعلاميا](https://wp.me/p3WskZ-aTV)

<https://wp.me/p3WskZ-aTV>

[تسويق الحلال](https://wp.me/p3WskZ-aTV)



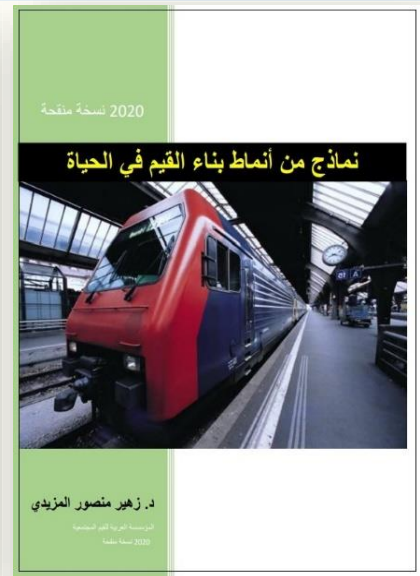
<https://t.me/tammalto/643>



<https://t.me/tammalto/699>



<https://t.me/tammalto/651>



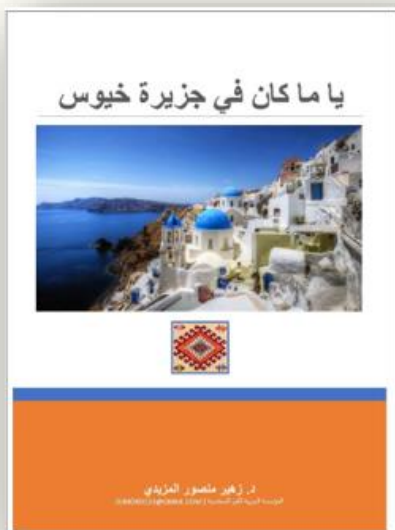
[التفكير الاستراتيجي في استهداف شرائح المجتمع](https://t.me/tammalto/643)

[نجومية الرياضة والقيم](https://t.me/tammalto/699)

[نماذج من أنماط بناء القيم في الحياة](https://t.me/tammalto/651)



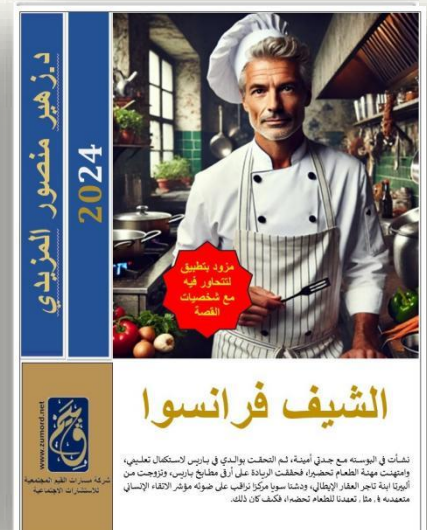
<https://t.me/tammalto/658>



<https://t.me/tammalto/675>



<https://t.me/tammalto/648>



<https://wp.me/p3WskZ-9am>

<https://wp.me/p3WskZ-9sN>

<https://bit.ly/30oJArl>





صفحات من كتاب دليل قيم سورة مريم

<https://wp.me/p3WskZ->

<https://t.me/tammalto/707>



<https://wp.me/p3WskZ-bpP>

<https://wp.me/p3WskZ-bj0>



<https://wp.me/p3WskZ->

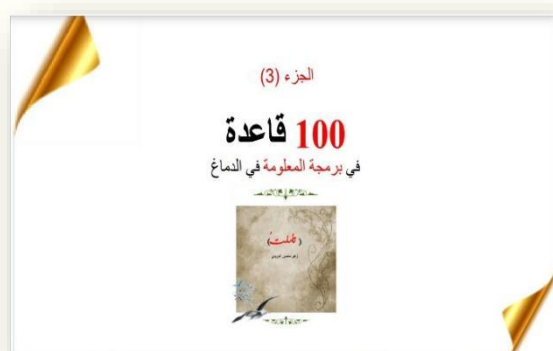
<https://wp.me/p3WskZ->

<https://wp.me/p3WskZ->





<https://t.me/tammatto/701>



<https://t.me/tammatto/701>



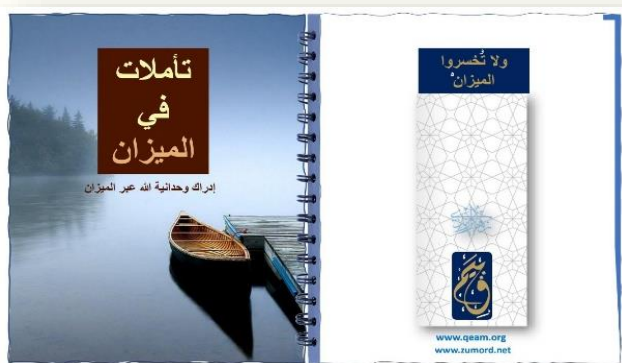
<https://wp.me/p3WskZ->



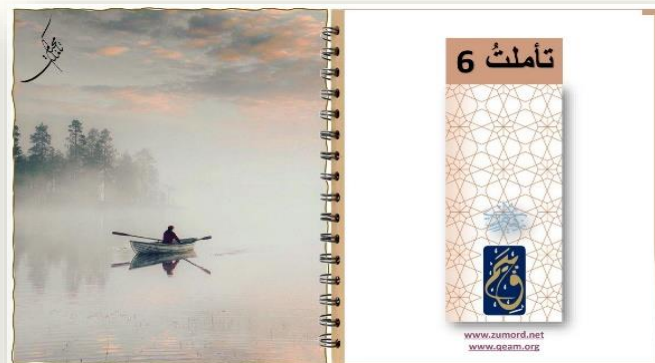
<https://wp.me/p3WskZ->



<https://t.me/tammatto/720>



<https://t.me/tammatto/721>

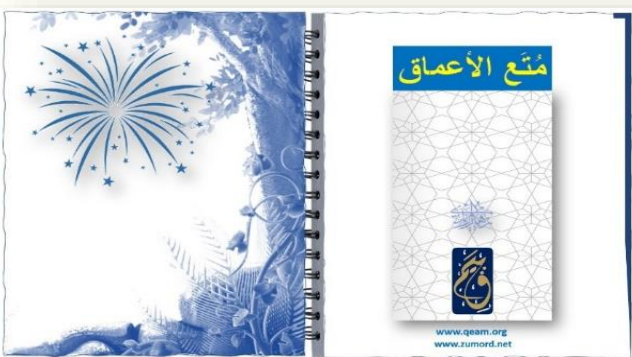


<https://wp.me/p3WskZ-c92>

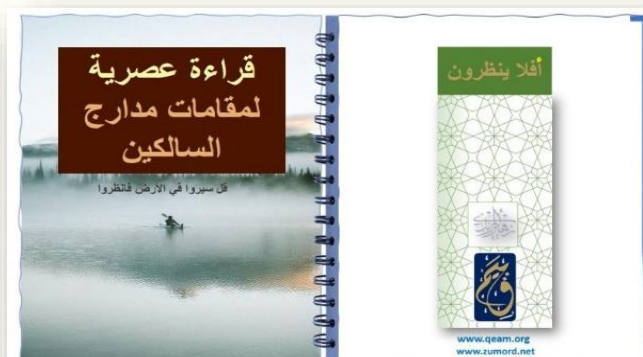
<https://bit.ly/3pTG1W0>



<https://t.me/tammatto/713>



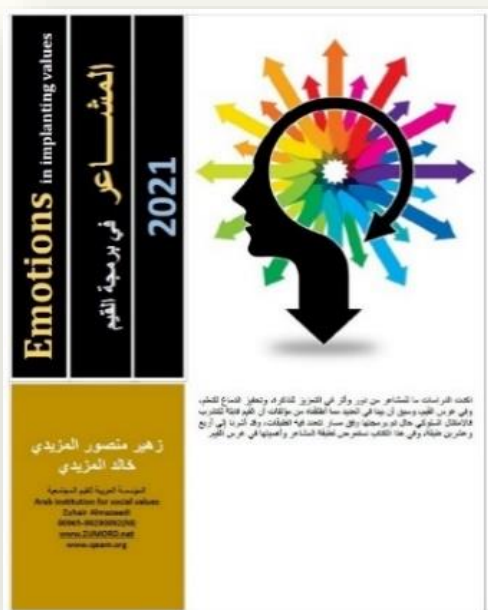
<https://t.me/tammatto/714>



<https://bit.ly/3TZ5SZG>

<https://wp.me/p3WskZ-c99>

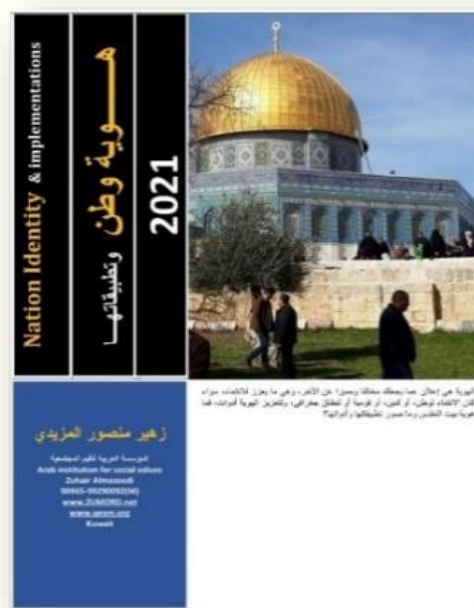




<https://t.me/tammalto/729>



[المشاعر في برمجة القيم-muslim-library.com](https://muslim-library.com/)



<https://t.me/tammalto/722>



<https://wp.me/p3WskZ-bUp>

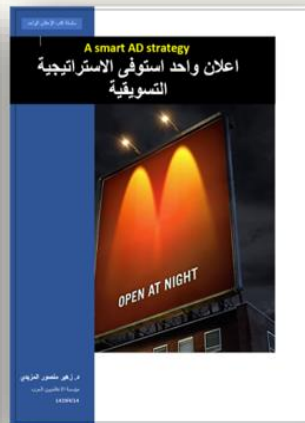
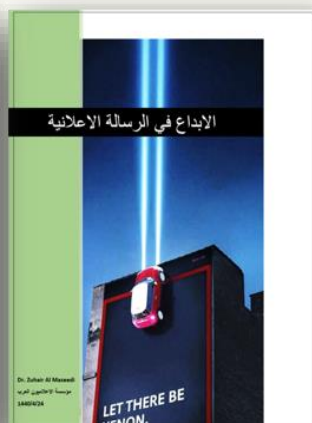
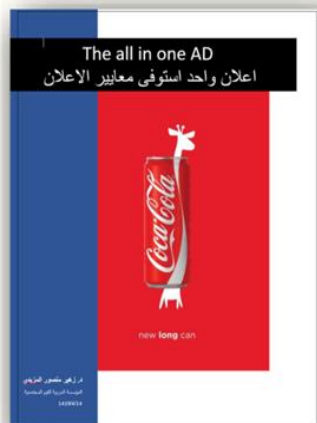


<https://t.me/tammalto/7>

<https://t.me/tammalto/722>

<https://t.me/tammalto/716>

<https://t.me/tammalto/727>



<https://bit.ly/2VI0ghP>

<https://bit.ly/2L1sR>

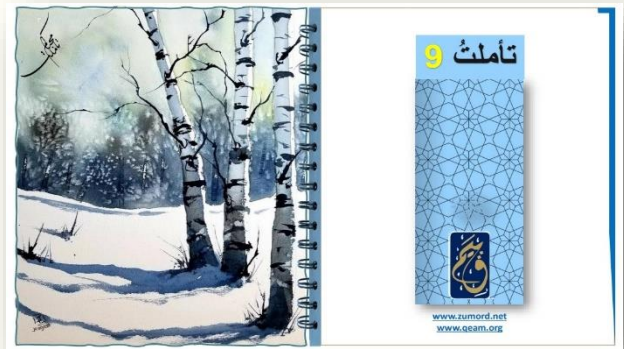
<https://bit.ly/2GsAvTg>

<https://bit.ly/2GsAvTg>





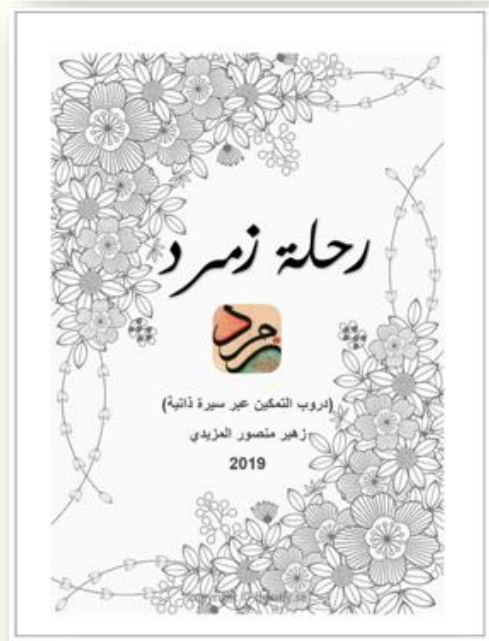
<https://wp.me/p3WskZ-cur>



<https://wp.me/p3WskZ-cyZ>



<https://t.me/tammalto/728>

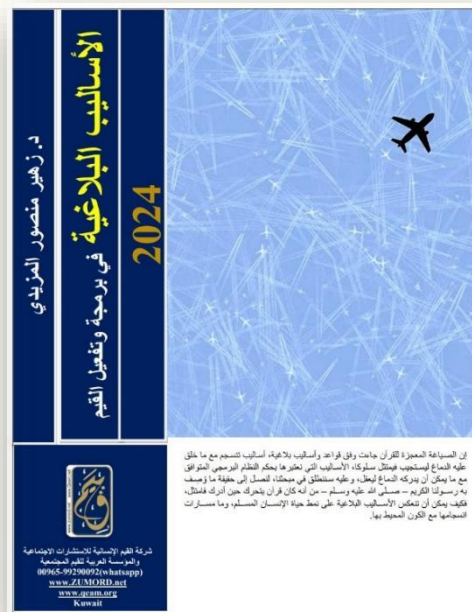


<https://wp.me/p3WskZ-cb6>

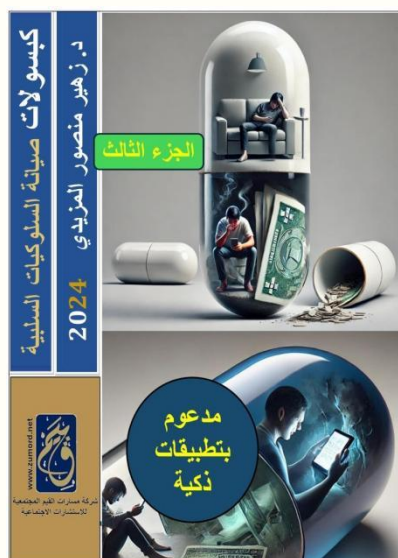
صدر ولم ينشر بعد



<https://wp.me/p3WskZ-cx4>



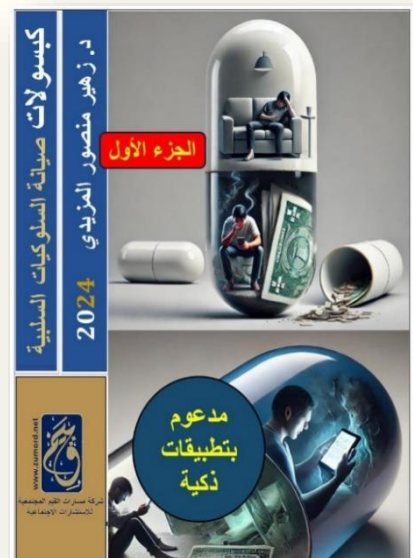
<https://wp.me/p3WskZ-cvR>



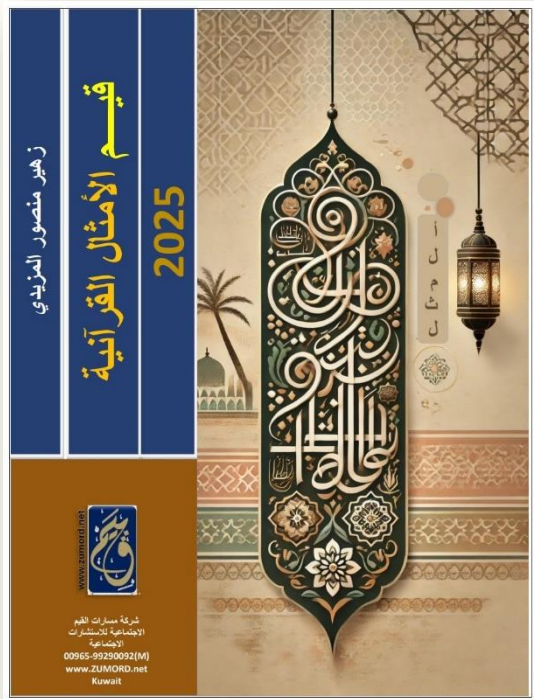
<https://wp.me/p3W>



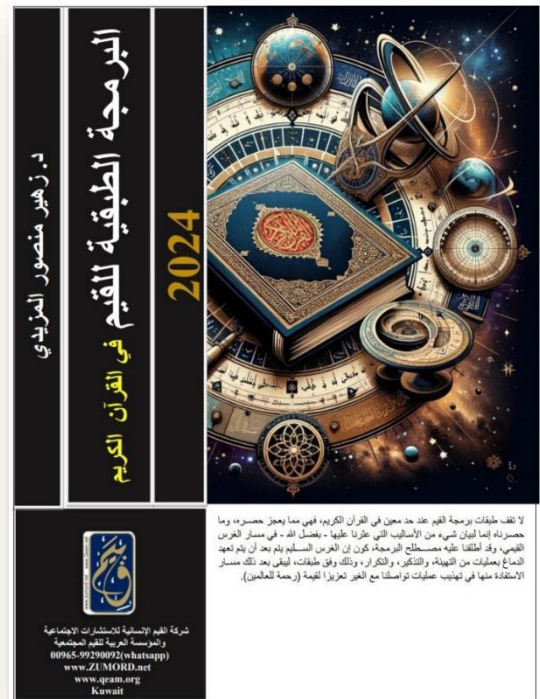
<https://wp.me/p3Ws>



<https://wp.me/p3>



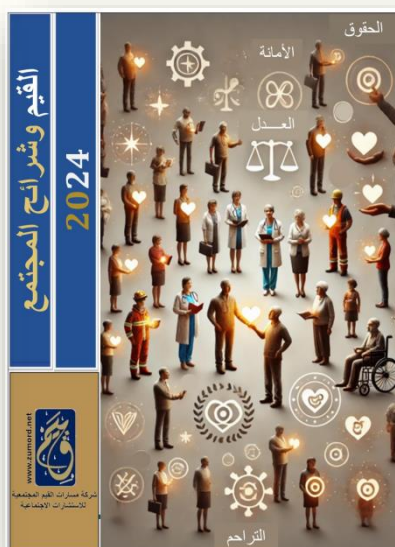
<https://wp.me/p3WskZ-eLX>



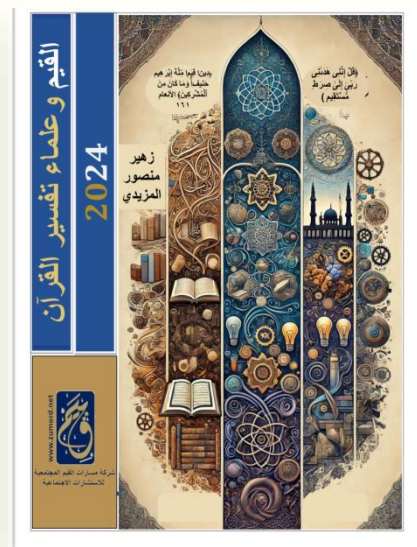
https://www.muslim-library.com/books/2024/02/ar_albar_majat_altabaqiat_alqiim_fi_alquran_alkarim.pdf



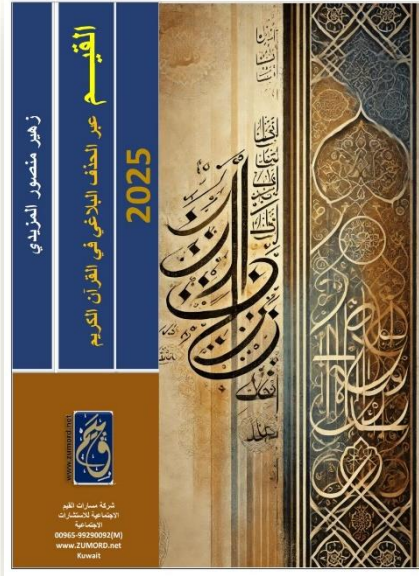
<https://wp.me/p3>



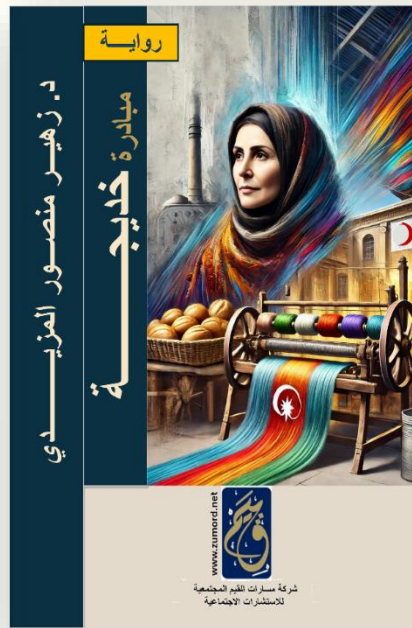
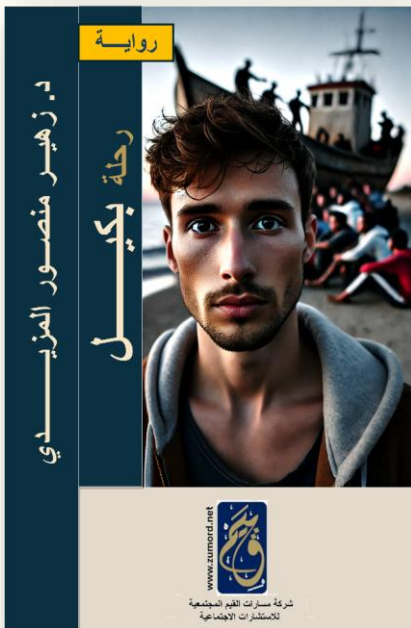
<https://wp.me/p3WskZ->



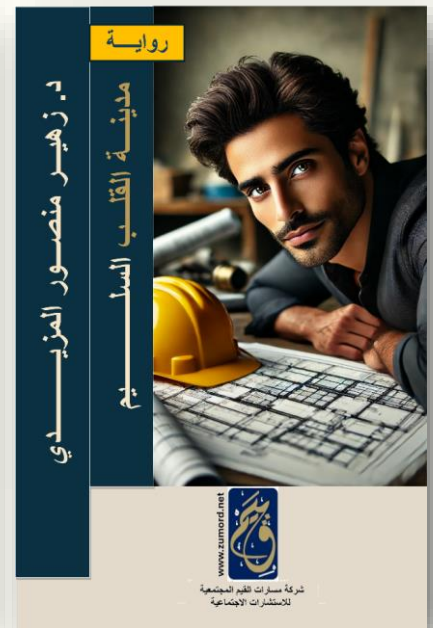
<https://wp.me/p3WskZ->



<https://wp.me/p3WskZ->



<https://drive.google.com/file/d/1KedG1HdvJ7jhKXgNfj->



https://drive.google.com/file/d/1adYTS2C6_4lzDCV-

<https://t.me/tammalto/665>



ما يلي مكتبة قصص الأطفال

<https://wp.me/p3WskZ-bRE>

<https://wp.me/p3WskZ-bRH>

<https://wp.me/p3WskZ-bRK>

<https://wp.me/p3WskZ-bRO>

<https://wp.me/p3WskZ-bRR>



رابط جميع كتب د. زهير المزيدي

[زهير منصور المزيدي | المكتبة الإسلامية الإلكترونية الشاملة
\(muslim-library.com\)](https://muslim-library.com)

الدورات التدريبية

تسلسل	اسم الدورة	الرابط
1	تدريب أون لاين معتمد بشهادات دولية	https://www.anardes.net/new/teacherdetials.php?id=6247 

المحاضرات

العنوان	الرابط
1 من التحفيظ إلى التشغيل	https://youtu.be/UUf5zlvUuQ0
2 لقاء تلفزيوني مع د. زهير المزيدي	قهوة تركية د. زهير المزيدي قناة TRT العربية 10 - 06 - 2016 - YouTube
3 تعريف الاعلام والاعلان	Zuhair ALMazeedi on Alrai TV Part 1 - YouTube الرأي
4 الاعلان ات التجارية	Zuhair ALMazeedi on Alrai TV Part Part2 - YouTube الرأي
5 منصة التأملات	القناة التركية ولقاء قروب تأملت YouTube -
6 محاضرة تحويل القيم لمنتجات	https://youtu.be/jGi8w4IDEuw
7 القيم الإسلامية بأبعادها الثلاثية	https://youtu.be/HI9zUR4SOjY?si=zfKkV39HToOTaPt1

المؤلف في سطور



المواقع الالكترونية:

سنوات الخبرة:

أكثر من 35 عام في مجال تخطيط وتصميم وتنفيذ الحملات الاعلانية التجارية والقيمية التوعوية والتسويق لها على نطاق دولي.

الخبرات العملية:

1. رئيس مجلس إدارة مبرة المؤسسة العربية للقيم المجتمعية 2008-2019
2. المشرف على (دبلوم القيم) لدى جامعة دار الحكمة، المملكة العربية السعودية 2019
3. مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة (T.C) (1985).
4. مؤسس إدارة الإعلام في بيت التمويل الكويتي 1986.
5. مؤسس لشركة الرؤية والكلمة المتخصصة في الإنتاج القيمي للأفلام التلفزيونية. 1991
6. مؤسس ومدير عام مؤسسة "الإعلاميون العرب" للاستشارات 2000
9. خبير إعلامي معتمد لدى غرفة تجارة وصناعة الكويت 2001.
10. محكم دولي لجوائز الإعلان القيمي لجوائز دولية في بريطانيا وأميركا والكويت
11. مدير شركة القيم الإنسانية للاستشارات الاجتماعية 2022

في مجال إبداع المشاريع الاجتماعية Social innovations:

- 1- مشروع "غراس" للوقاية من آفة المخدرات، عبر تشكيل مجلس عضوية وزارات الدولة وجمعيات المجتمع المدني ومؤسسات القطاع الخاص في دولة الكويت، 1999-2005، أشادت ملكة السويد بنتائج المشروع ضمن جولتها في معرض دولي بما حققه المشروع من نتائج، ولم تحققه مشاريع مماثلة على نطاق أوروبا.
- 2- مشروع "وقف الأرشيف الإعلاني" للجامعة الإفريقية العالمية في السودان، لنقل خبراتنا في تدشين وإدارة جوائز الإعلان الدولية عبر طلبة كلية الإدارة والتسويق. 2017
- 3- مشروع "سما" سوق منتجات الايتام، لتعزيز مفهوم الإنتاج في مراكز الايتام وجعلها مراكز لموارد ماليه عوضا أن تكون مراكز للإنفاق فقط. 2016
- 4- مشروع "سمر" سوق منتجات القرآن، مع مجموعة من القرى اليمينية، عبر حلقات تحفيظ القرآن، للارتقاء بالحافظ كي يكون مشغلا لقيم القرآن ومفاهيمه، لا حافظا فقط، عبر برنامج أدرناه دوليا بعنوان "تحويل القيم لمنتجات" ما تمخض عن نواة لسوق للمنتجات، وعوائد ماليه يستفيد منها سكان القرى. 2017
- 5- مشروع (تأملت)، عبر 100 جزء، لتعزيز مفاهيم القيم الإنسانية عبر وسائل التواصل الاجتماعي بشكل أسبوعي، والتي تمخضت عن أربعة كتب الكترونية.
- 6- مشروع الجامعة الخليجية المفتوحة، 1986 مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، كنموذج في مجال مشاريع تمكين القوى العاملة للانخراط في التعليم الجامعي عن بعد.

7- توقيع عشرات مذكرات التفاهم في مجال التعاون المشترك مع جامعات ومؤسسات المجتمع المدني ومؤسسات تعليمية على نطاق دولي، بهدف تفعيل عمليات التشبيك لتعزيز القيم واعتماد برامج المؤسسة العربية للقيم المجتمعية.

في مجال الاستشارات الاجتماعية القيمة:

1. مستشار لمشروع "غراس"، لمكافحة المخدرات 1999 الكويت
2. مستشار مشروع "نفائس" لتعزيز العبادات 2003
3. مستشار مشروع "ركاز" الدعوي 2004
4. مستشار مبرة طريق الإيمان 2009
5. مستشار الشبكة الدولية لرعاية الايتام 2016
6. مستشار أكاديمية التدريب والقيادة، إستانبول للإدارة حملة توعية لصالح الايتام في تركيا 2018
7. مستشار الشبكة الدولية للقيم 2020

العضوية في الجوائز الدولية:

1. عضو لجنة التحكيم جائزة الإعلان الدولية الأمريكية I.A.A عام 1996
2. عضو لجنة التحكيم لجائزة لندن الدولية للإعلان عام 1999 – لندن.
3. عضو لجنة التحكيم لجائزة الابداع الإعلاني، جامعة الكويت.
4. عضو لجنة تحكيم جائزة (كريا) الاعلانية لمجلة أراب آد Arab AD اللبنانية
5. عضو لجنة تحكيم جوائز (سوبر براند) البريطانية 2010
6. يتمتع بالعضوية في عدد من الجمعيات الإعلامية الدولية: جمعية الإعلان الدولية - جمعية التسوق الخليجية - جمعية التسوق الأمريكية.

حيازة الجوائز والمناصب الدولية:

1. حائز على عدد من الجوائز الدولية في مجال (الإعلان القيمي) أبرزها الجائزة العالمية للإعلان عن الشرق الأوسط وأوروبا - برشلونة 1992.
2. رشح لمنصب نائب رئيس مجلس إدارة فرع الكويت لجمعية الإعلان الدولية، الجمعية التابعة لأكبر منظمة إعلانية أمريكية-1996
3. عضو مؤسس للاتحاد الكويتي للإعلان، ورئيس لجنة الاعلام المجتمعي 1999
4. عضو مخكم لجائزة لندن الدولية 2000
5. عضو محكم لجائزة "كريا" اللبنانية 2003
6. قلد جائزة منتدى الاعلام العربي، للجامعة العربية، كمؤسس للصناعة الاعلانية في الكويت 2013
7. عضو محكم لجائزة سوبر براند البريطانية 2015
8. محكم جائزة الشبكة الدولية للقيم 2019

المؤلفات:

1. التسويق بالمسؤولية الاجتماعية 2007
2. تفعيل القيم وممارستها 2010 معتمد في (العديد من الجامعات والمؤسسات التعليمية دولياً).
3. استكشاف القيم صيانتها ومعالجتها 2010
4. قوافي اللقطات في القصص القرآني 2010 (باللغة التركية)

5. مقدمة في تفعيل الحواس 2012
6. تحويل القيم إلى منتجات 2013
7. مؤشر الإدراك والقيم 2013
8. التسويق المجتمعي 2013
9. تحويل المشاعر إلى منتجات 2014
10. في استنساخ فكر العظماء 2014
11. تفعيل القيم لرياض الأطفال 2018
12. برمجة القيم عبر مناهج التعليم 2018
13. مفهوم المسؤولية المجتمعية وممارستها 2018
14. التفكير الاستراتيجي في استهداف شرائح المجتمع 2018
15. وإن كل شيء الا يسبح بحمده، 2018
16. مقدمة في منهج الإبداع - الكويت 1984، دار ذات السلاسل للنشر، تم اعتماد الكتاب كمنهج تدريسي في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب 1985، واعتمد كمقرر تدريسي في إحدى الجامعات الآسيوية.
17. الجامعات المفتوحة في العالم وأضواء على انشاء جامعة مفتوحة لدول مجلس التعاون الخليجي - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1985
18. بنك النصوص - 1994.
19. المكتب الإعلامي للتنمية -1995.
20. القوانين الاحترافية في مجالات الإعلام والإعلان في العالم 1994.
21. التسويق بالعاطفة 2006
22. التسويق بالشريحة المستهدفة (شريحة الاطفال) 2006
23. تسويق أنماط الحياة 2006
24. التسويق بالحواس الخمس 2006
25. قوة العلامات التجارية 2010، دار إنجاز للنشر، ومكتبة جرير
26. العلامات التجارية في التأثير على القيم 2013
27. تسويق الحلال 2017
28. طبقات البرمجة للقيم في القرآن 2017
29. تحويل الكتاب المقروء لمنتجات 2018
30. تفعيل القيم لرياض الأطفال 2018
31. برمجة القيم عبر مناهج التعليم 2018
32. المشغولات اليدوية وغرس القيم 2018
33. نماذج من أنماط بناء القيم في الحياة 2018
34. نجومية الرياضة والقيم 2018
35. في بناء صورة وسمعة المدن إعلاميا 2019
36. وان من شيء الا يسبح بحمده 2019
37. الوسم في العلامات المسجلة 2019
38. صناعة التكامل 2019، المؤسسة العربية للقيم المجتمعية، الكويت
39. التجسير صناعة. للتعايش 2019، المؤسسة العربية للقيم المجتمعية، الكويت
40. صناعة المسؤولية 2019، المؤسسة العربية للقيم المجتمعية، الكويت
41. الابداع في الرسالة الاعلانية 2019
42. اعلان واحد استوفي الاستراتيجية الاعلانية 2019
43. اعلان واحد استوفي معايير الإعلان 2019

44. رحلة زمرد 2019
45. حراك الشذوذ 2020
46. هدايا المصائب ونذرهما 2020
47. تأملات فيمن احصاها 2020
48. الابتكارات المجتمعية 2020
49. كيف تنشئ دليلاً للقيم التعليمية 2022
50. رئيس فريق تأليف دليل قيم الشفيع 2021-2022
51. السنن الكونية والقيم الإنسانية 2021
52. صراع القيم الإنسانية مع الأسباب الكونية 2021
53. مراكز تحفيظ القرآن من التحفيظ إلى التشغيل 2021
54. ميزان القيم 2021
55. مقام الشكر عبر نهضة أمة 2021
56. ورشة تشغيل مفاهيم قرآنية 2022
57. كيفية تشكل الظواهر الاجتماعية 2023
58. دليل قيم الشفيع – رئيس فريق التأليف 2021-2022
59. الطقوس في برمجة القيم - 2023

البرامج الاذاعية والتلفزيونية:

- 1- تسجيل 600 ساعة إذاعية مع إذاعة دولة الكويت، سلسلة توثق صناعات الإعلان والتسويق والعلاقات العامة والقيم الاجتماعية.
- 2- استضافات عبر محطات إذاعية وتلفزيونية - قطر، دبي، وتركيا TRT

في مجال الاستشارات التجارية:

1. مستشار إعلامي " مكتب الشهيد – أحد مكاتب الديوان الاميري – الكويت 1993.
2. مستشار الشركة الكويتية للحاسبات 2000
3. مستشار شركة "حرف" إحدى شركات "صخر" الكويت – مصر 2000
4. مؤسس الاعلام والتسويق في بيت التمويل الكويتي. 1986-2003
5. مستشار إعلامي لبيت التمويل الكويتي التركي، 1987
6. قدم الاستشارات لقنوات تلفزيونية دولية كقناة الجزيرة 1997 في قطر، وقناة الرسالة في السعودية.
7. مستشار شركة مستشفى المواساة القابضة 2002-2004
8. مستشار "المركز العلمي" 2003، إحدى شركات مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
9. مستشار اسم الرواج التجاري لشركة الشرقية للاستثمار 2005
10. مستشار مجموعة مدارس (IPE) عربية وأجنبية وثنائية اللغة 2005
11. مستشار اسم الرواج التجاري لشركة الامتياز للاستثمار 2006
12. مستشار التسويق لدى معهد الكويت للأبحاث العلمية 2007، 2009
13. مستشار مركز الكويت للتحكيم التجاري، غرفة تجارة وصناعة الكويت، 2007
14. مستشار وزارة الصحة، المملكة العربية السعودية، مركز الطب الطبيعي 2009
15. مستشار بلدية إمارة عجمان، الامارات العربية المتحدة 2012
16. مستشار 2012 لمؤتمر (World forum) الجمهورية التركية
17. مستشارا للعديد من الشركات الاعلامية والوكالات الاعلانية في الكويت والخليج.

18. مستشار برنامج تحويل القيم لمنتجات لمركز صباح الاحمد للموهبة والابداع
2011
19. مستشار العلاقات الدولية لمركز صباح الاحمد للموهبة والابداع 2015
20. مستشار الشركة الكويتية للاستثمار 2019